العقائد الوثنية

في الديانة اليهودية

تأليف الأستاذ
حسن الباش



دار قتيبة




al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين


العقائد الوثنية
في الديانة اليهودية



تأليف الأستاذ

حسن الباش



الطبعة الأولى

١٤١١هـ - ١٩٩٠م

دار قتيبة
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - ص.ب: ١٤/٦٣٦٤
دمشق ص.ب: ١٣٤١٤

الإهداء

إلى كل مسلم مؤمن تمسك بروح القرآن

إلى من يبحثون عن السر في سورة الإسراء

إلى المجاهدين في القدس الشريف وفلسطين

مقدمة :

استناداً على ما جاء في التوراة اليهودية جاءت مسيرة الديانة اليهودية طويلة ومشوشة وباعتبار أن هذا التوراة دون في صفحاته تاريخ الخلق الكوني ثم الخلق الانساني فإنه نسب مايسميهم بني اسرائيل إلى النبي ابراهيم وأولاده لينالوا شرف ذلك النسب ، وليدعوا أن وعد الله لابراهيم هو وعد لهم في احتلال الارض وقتل الشعوب .

غير أن مدوني التوراة المتلاحقين عبر أكثر من ألف عام وقعوا منذ الصفحات الاولى فيه في الافصاح عن ديانة وثنية واضحة بعيدة كل البعد عن عقائد التوحيد التي تجلت لدى الدين الاسلامي في أنقى صورة وأعقلها .

وحقيقة ان هذه الوثنية لم تأت من فراغ ، فالتدوين التوراتي الذي تمّ بشكله الموسّع قد جرى على أيدي كهنة اليهودية الذين كانوا على رأس جماعاتهم وهم في بابل ، وهذا التدوين جاء معبراً تمام التعبير عن ديانة البابليين الوثنية ومن ثم الفرس ، وباعتبار أن هؤلاء اليهود

حملوا معهم ذكريات عن ديانة الكنعانيين الذين كانوا يستعمرون أراضيهم وضمنوها تدوينهم .

وإذا تحققنا مما كتب في التوراة فإننا سنجد خليطا عجيبا من الديانات الوثنية المنتشرة أفكارها وتعاليمها بين ثنايا صفحات التوراة نفسها .

وهذا يرشدنا إلى أن العقائد الوثنية في الديانة اليهودية لم تكن ذات منبع واحد أو مصدر واحد .

فسفر التكوين الذي يمتلىء بالحس الاسطوري والعقيدة الوثنية جاء خليطا من أساطير المصريين والبابليين والكنعانيين وغيرهم بل إننا سنجد تشويهاً لبعض العقائد تلك حيث أن المنطق الاسطوري لتلك الشعوب لم يبق منطقاً اسطورياً ملحمياً جميلاً بل تشوه وأدخلت فيه عناصر عقائدية يهودية حاولت أن تضفي عليه نوعاً من الدين الذي يجاري الواقع . ولكنها فشلت لأن منطق الاساطير له عالمه الخاص ومنطق الواقع له عالمه الخاص أيضاً ، وإذا ماتم اللقاء بينهما فإن كثيراً من التنافر والتضارب يتخلل منهجه بحيث لايمكن للعقل البشري تصديقه حتى في أبسط جوانبه .

أما سفر الخروج فهو يأتي ليكتب مرحلة أخرى . تنتهي مرحلة الاباء الاولين أو ابراهيم وأبنائه . وبموت يوسف النبي غابت مرحلة تاريخية كبيرة بلغت أكثر من ثلاثمائة سنة لاندري اين كان بنو اسرائيل فيها ولاندري عن ديانتهم شيئاً سوى أنهم اندمجوا بالمصريين اندماجا كليا . اندماجا اجتماعيا ودينيا وبعد هذه الفترة أو الحلقة المفقودة يأتي

سفر الخروج ليتحدث عن موسى الذي يسمّيه التوراتيون (رجل الله) ولايطلقون عليه النبي . يأتي هذا السفر ليتحدث عن الذين تبعوا موسى وفروا عبر الصحراء . وهناك تجلت لديهم عقيدة الوثنية المصرية . لأنهم عاشوها هم وأجدادهم في مصر لمدة طويلة من الزمن . صنعوا (العجل) الذهبي وراحوا يسجدون له ويرقصون حوله تماما كما كانوا يفعلون أيام وجودهم في مصر . لم يستطع النبي موسى إقناعهم بديانة التوحيد فظلوا تائهين في معتقداتهم ، وكلما ضاقت بهم الحال ندموا على خروجهم من مصر واتهموا موسى بأنه يريد فناءهم وقتلهم جوعاً وعطشاً .

ورغم عودتهم لعقيدتهم الوثنية التي عاشوها وأخلصوا لها في مصر وأثناء الخروج راح مدونو التوراة يفصحون عن عقائدهم التي تجسد الإله فيسمونه بسمات آلهة الشعوب المصرية والكنعانية وغيرها . بل إنهم وبسبب تأقلمهم مع الصحراء وحياة البداوة والقبلية التعصبية . راحوا يصفون الإله بأنه رب الجنود وأنه يتجسد كالبشر . وهو إله قوم لوحدهم . فهو قبلي خاص بهم لايجوز أن يكون لشعوب أخرى . وهذا ما أخذوه عن الشعوب الأخرى حيث اختص كل شعب بنوع من الآلهة لاتخص غيرهم . وكل آلهة الشعوب الوثنية كانت تتنافر حسب تخيل أتباعها وحسب مايحيطونها من هالة خاصة بهم وبتفكيرهم .

لم يكن هؤلاء الذين خرجوا مع موسى بأحسن حال من بقية الشعوب الوثنية فقد تمثلها وتمثل عقائدها وطبيعة العصر كذلك

والأدهى منه أن هؤلاء البدو والرعاة والقاسية قلوبهم تصوروا الههم على أقسى صورة عرفتها تلك الشعوب الوثنية . إلههم يغضب ويضحك ويندم ويحن ويحاسب نفسه على أخطائه التي يرتكبها مع شعبه .

وفي سفر اللاوين والعدد والتثنية لايخرج ذلك الشعب عن عقليته الوثنية وحسب ماجاء فيها فإن موسى ظل يلقى العنت والرفض بل والتآمر على حياته وعلى دينه من قبل هؤلاء الرعاة . لم يدخل في نفوسهم يوما الثقة بالاله الواحد المحجوب ولذلك ظلوا يطلبون من موسى تحقيق معجزات كثيرة لإثبات ان ربهم موجود وقد تمادوا حتى وصل بهم الحد الى الطلب من موسى أن يروا الله جهرة حتى يصدقوا أنه موجود ويأتي سفر يشوع ليثبت أن ذلك الاله الذي يقود هؤلاء العتاة البدو هو إله دموي يأمر بالقتل والنهب والسلب ، يأمر بقتل الأطفال والنساء والحيوانات فهو تماماً يشبه آلهة المصريين وآلهة اليونان وآلهة البابليين . سيل من الدماء يجري ولايشبع هذا الإله . وأي إله هذا الذي لايعرف شفقة ولارحمة ولايعرف أتباعه طريق إرشاد الناس وهدايتهم إلى جادة الصواب.

وحتى يسيروا في طريق الدم الطويل لم يسكت يوشع عن أوامر ذلك الاله الذي كان دوما يقول له اقتل هكذا يقول الرب . لاتبقي على أحد من أعدائك وحتى الحيوانات فهي للقتل لأنها ملك لهؤلاء الاعداء . اسرق الناس واسلبهم بيوتهم وذهبهم وفضتهم . كل ماللأمم الغريبة عن الإله (يهوه) حلال لكم اقتلوا وانهبوا وهذه هي حياتكم .

وطالما شغل هؤلاء العتاة بالقتل والسلب ظلوا وراء هذا الإله الذي يحقق أطماعهم وتوسعهم وقتلهم .

وعندما ركنوا إلى الحياة الجديدة وجدوا أن مصلحتهم تقتضي تغيير الإله ولما كانت جذورهم العقائدية ترتكز على الوثنية المصرية عادوا من جديد ليفتشوا عن آلهة تناسب واقعهم الجديد . فإذا بهم يجدون أنفسهم وجهاً لوجه مع آلهة الحثيين والكنعانيين والفلسطينيين والصيدونيين وغيرهم . وبسرعة عجيبة صنعوا لهم آلهة شبيهة وراحوا يعبدونها ويذبحون لها .

ويأتي سفر القضاة ليدل على وثنيتهم المتقلبة . فكل حسب مصلحته ، تارة يميلون إلى هذه الآلهة وتارة إلى تلك ، ويركزون على عبادة البعل والبعليم إله الكنعانيين. وأخذوا يصنعون له المعابد ويسجدون له ويذبحون عنده بل ويزنون وراء الآلهة المتعددة المستوردة من الشعوب المجاورة لمستوطناتهم ولأماكن احتلالهم ، وكلما مات قاض من قضاتهم عادوا إلى عبادة إله جديد وشددوا على تلك العبادة أكثر من آبائهم. ولم يقتصروا في عباتهم على الآلهة المتعددة بل عبدوابعض الملوك الذين أذلوهم حينما غزوهم . . ومن ثم انتقلوا الى عبادة عشتاروت وآلهة موآب وآلهة بني عمون وآلهة فلسطين وطوال عهد قضاتهم ظلوا ينتقلون من آلهة إلى أخرى وترسخت عقيدة الوثنية في نفوسهم وأرواحهم وليس عجبا لأنها ترسخت منذ زمن وجودهم في مصر ـ وانتقلت مع دمائهم وأجيالهم من جيل الى جيل .

وفي صموئيل الاول يعودون سيرتهم الاولى فيعادون ربهم ثم

يأتي هذا الرب ويقف أمامهم مع ملائكته . ثم يندم هذا الرب لأنه غضب عليهم أو لأنه اختار شاؤول (طالوت) ملكا عليهم . ثم يصفونه بالأب ويصفون نبيه بابنه ، ويطلب ان يكون له مسكن فهو لم يسكن في مسكن منذ خروج الرعاة اليهود من مصر ثم غضب عليهم مرة أخرى وقتل منهم مقتلة لكنه يندم ويطلب من ملاكه إيقاف المذبحة المدمرة .

وفي الملوك الاول والثاني : يتهمون داود بأنه مال إلى القتل من أجل شهوته ومال بقلبه الى آلهة أخرى وكذلك اتهموا سليمان فقالوا عنه أنه وضع اصناماً في بيت الرب لكل نسائه اللواتي بلغن 900 امرأة وقالوا عنه انه ذهب وراء آلهة صيدا وعشتروت ووراء ملكوم إله العمونيين ولكموش إله المؤابيين ووراء (مولك) إله بني عمون . وحسب زعمهم فإن الرب قال لسليمان إنه يسكن في الضباب وهذا ما أخذه من عقيدة الكنعانيين القائلة بأن الإله (بعل) يسكن في الضباب والغيوم .

وبعد موت سليمان لايروق لهم إلا تجسيد عقائدهم الوثنية الواضحة يأمر ملوكهم بصنع عجلين ذهبيين ويقولون لهم إنهما هما الإلهان اللذان أصعدا الرعاة من مصر . ويأتي ملكهم أخاب بن عمري فيعبد البعل ويتزوج ايزابيل الوثنية التي ذبحت اكثر الانبياء المصلحين لأنهم نادوا بديانة التوحيد ، وتحت مرأى زوجها آخاب . وأقاموا المعابد الوثنية في كل مكان احتلوه ، في الكرمل ، وبيت إيل والقدس ولم يبق من مئات الالوف التي تحدثوا عنها سوى سبعة آلاف يرفضون حسب زعمهم ديانة الوثنيين وعقائدهم .

ويتحدثون عن الرب الذي رأوه يجلس على كرسيّه وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وشماله . ويمرضون فيذهبون الى (بعل زبوب) يسألونه عن شفاء ملكهم أخزيا وهذا الاله هو لبلدة عقرون الوثنية .

وفي سفر الملوك الثاني بأجمعه ليس هناك حديث سوى حديث عبادة الأوثان أو الآلهة المتعددة ، يسبكون من الذهب إلهاً ، ومن الفضة كذلك ، وعبروا بناتهم وأبناهم في نار الاوثان لأنها مقدسة حسب عقائدهم . وأخذوا يتعاملون بالعرافة والسحر فراحوا يتفاءلون ويتشاءمون وكل ذلك حسب معتقدات الوثنية السائدة في البلاد التي احتلوها .

ويأتي سبي البابليين لهؤلاء الوثنيين فتنتشر عقائد الوثنية البابلية بينهم حيث راحت كل قبيلة وكل جماعة تعمل آلهتها حسب هواها وتضعها في المعابد والمرتفعات تقدس وتذبح لها الذبائح الحيوانية والبشرية تقليدا لغيرهم من الشعوب القوية وليس عجبا في ذلك طالما أنهم لا يعرفون الاستقرار في مكان فهم بدوٌ يتأثرون ولا يؤثرون ، وينتقلون من حال إلى حال حسب الظروف والمعتقدات الآتية من حولهم .

ويعود السبي عليهم مرة أخرى فيُساقون الى بلاد بابل . وهناك لايجدون حرجا من اتباع عقائد بابل وآشور راحوا يعبدون الاسد المجنح والثور المجنح وآلهة متعددة غيرهما ويحل الفرس محل البابليين

فيتغير الرعاة الى عبادة جديدة ويستطيعون أن يدخلوا نفوس مستعبديهم فيزوجون فتاتهم (أستير) للملك الفارسي ولكنهم ينفذون عقائده ويتعلمون بسرعة عبادة النار فيحرقون ويصنعون مواقد العبادة حتى إذا ما عاودوا سيرهم الاولى في العودة الى استعمار الارض عن طريق التسرب الى فلسطين يأتي الرومان الوثنيون والبطالمة فيغوصون في عبادة أوثانهم ويحل (جوبتر) محل (يهوه) وهكذا حتى يأتي المسيح مبشرا بديانة التوحيد فيرفضونه ويرفضون الوحدانية وكما عذبوا الانبياء قبل عذبوه بالجدل والعداء والإفساد حتى تآمروا على قتله هم والوثنيون الرومان .

وإذا كان التوراة (الكتاب الذي يعتبره اليهود أساسا لديانتهم) يعج بالعقائد الوثنية فإن السيد المسيح نبذهم وفضح عقائدهم فكادوا له وراحوا يشوهون كلامه بل اندسوا بين حواريه وراحوا يبثون تعاليمهم في الاوساط المسيحية حتى وقع كثيرون في حبائلهم وعقائدهم الوثنية المدسوسة .

ومرة أخرى حاولوا أن يشوهوا القرآن فلم يستطيعوا لأن الله تعهد بحفظه وظل كتابا نقيا من كل تأثيراتهم المجرمة المدمرة .

لقد فضحهم القرآن الكريم ولم يترك شيئاً عنهم إلا وبينه وجاء ليثبت مصداقية كلام الله فيهم .-

وإذا كان الباحثون والمؤرخون قد أدركوا تلك العقائد الوثنية في توراة اليهودة فان القرآن يظل خير مصدر لذلك . إن القرآن والباحثين وكل المنصفين من المؤرخين في الديانات يجمعون على وثنية اليهود والابتعاد كليا عن ديانة التوحيد .

(1)

تدوين التوراة

● **تدوين التوراة :**

قد يتساءل بعضنا لماذا نبحث في تدوين التوراة مادام بحثنا يتعلق بالعقائد الوثنية لدى اليهود ؟

لاشك أن التوراة كما يعلم كافة أبناء الامم قد دون على فترات متباعدة من الزمن غير أن المحقق لدى الجميع أيضاً أن تدوينه بشكل كامل تم زمن الفرس بعد أن قام البابليون بسبي اليهود مرتين ومن ثم انتصار الفرس على البابلين وامتلاكهم لكل ماكان لدى البابليين .

وقد جاء في قاموس الكتاب المقدس أن عزرا (صاحب سفر في التوراة) كان كاهنا ولقب بالكاتب إذ أنه كان موظفاً في بلاط امبراطور الفرس (ارتحتشتا) ومستشاراً له في شؤون الطائفة اليهودية التي كانت تقيم فيما بين النهرين منذ ايام التحرير البابلي لفلسطين . وقد نال عزرا عفوا من امبراطور الفرس والسماح له ومن أحب من اليهود بالعودة إلى احتلال القدس وتم ذلك بين عامين هما 458 ـ 457 ق.م وحمل عزرا معه إلى فلسطين ذهبا وفضة . وقد قرأ عزرا التوراة على اليهود مستعينا

بالترجمة الأرامية للاصل العبراني مما جعل بعض اليهود يعتبرونه الرجل الثاني بعد موسى بل إنهم اعتبروه ابنا لله ، وهو واضع النظم اليهودية في القرن الخامس ق.م وقد لقبوه بالكاهن أو الكاتب[1] .

وقد تعاقب الكتاب من بعده ، وكانوا يشكلون جهازاً للمجمع الكبير الذي وضع عزرا أسسه . ويعتقد اليهود أن عزرا هو الذي جمع أسفار التوراة ونظمها .

ويزعمون أنه هو الذي حمل إلى فلسطين الاحرف الأرامية المربعة الشكل المعروفة بالخط الآشوري التي مهدت لنشوء الخط العبري .

وهذا يبين ان عزرا والكتاب راحوا على شواطىء دجلة والفرات يدونون ما أسعفتهم به ذاكرتهم وما علق في أذهانهم عن الماضي المتخيل وعما عاشوه قبل السبي .

وبينما هم يدونون راحت عقائد البابليين وتراثهم وعقائد الفرس وثنويتهم تدخل عقولهم ونفوسهم وتدوينهم التوراتي فإذا بالتوراة يأتي خليطاً من عقائد البابليين والكنعانيين والفراعنة وغيرهم : واعتبر ماجاء فيه مقدسا رغم ما فيه من عقائد الوثنية المتعددة الوجوه والمتعددة المنابع .

إن ما حفظ من توراة موسى عليه السلام هو قليل جدا نسبة إلى مادونه اليهود من تخيل عقائدي . وإذا كان ماحفظ عنه ظل في عقول بعضهم فإن مصلحتهم الدائمة تقتضي إخفاءه ومن ثم تحريفه أو

---

(1) قاموس الكتاب المقدس . دار الكتاب المقدس دمشق .

طمسه تماما ومن ثم خلق تصور عقائدي يتناسب والزمن الذي يعيشونه ويتناسب مع عقائد الشعب الذين يعيشون بين أفراده وفي بيئته وطبيعته الدينية والعقائدية والاجتماعية .

ويلاحظ أن مدوني التوراة انقسموا الى قسمين ودون كل قسم حسب معارفه وتصوراته لاسيما في سفر التكوين واذا ماقارنا الكتابتين وجدنا تناقضا كبيراً بينهما مما يشير الى ان كتاب التوراة ليس كتابا واحدا انما هو أكثر من كتاب جمعت بعد العودة من السبي بقيادة عزرا الكاتب . ولعل الوثائق التي استخدمها اليهود كان من ضمنها عرض لتاريخ البشرية المبكر وتاريخ اسلاف العبرانيين[2] ولعل ماوصلنا من توراة هو من صنع الكهنة الذين كلفوا بتدوينه وجمعه في جزيرة فاروس قرب الاسكندرية بمصر ولذلك سميت توراتهم بالسبعينية نسبة إلى عدد من اشتغل بجمع التوراة وتحقيقه .

إن تدوين هذا التوراة والعودة بمحتوياته إلى قصة الخلق الاولى ثم التدرج الى نوح والطوفان فإبراهيم وأبنائه توحي لنا تماما بالاستفادة اليهودية من تراث الشعوب البابلية والكنعانية والمصرية والفارسية وغيرها . وتدلنا على أن هذا التدوين شمل كافة تراث الشعوب الاسطوري والعقائدي الديني وإذا تساءلنا هنا أين توراة موسى مما دونه كهنة اليهود ؟ نجيب بأن توراة موسى اندثرت بعد ان سُرقت وأخفيت والذي بقي في ذاكرة اليهود حُرّف وشوّه وبدّل وهذا ما أشار له القرآن

---

(1) صموئيل هنري هوك . منعطف المخيلة البشرية ص 99 . ت صبحي حديدي دار الحوار - سورية اللاذقية 1983 .

الكريم قبل ان يشير له الباحثون المؤرخون أمثال ول ديورانت . والعالم صموئيل نوح كرايمر وبقية العلماء المختصين بالدراسات الشرقية والتوراة .

يقول تعالى في كتابه في سورة النساء 45 ـ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه وفي سورة الانعام 92 ـ وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا .

ويقول في سورة البقرة74 : أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون .

ويتحدث القرآن الكريم عن كتابة التوراة على أيدي كهنة اليهود فيقول في سورة البقرة 87 ـ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون» .

ويقول تعالى في سورة آل عمران ـ77 ـ وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون .

إن القرآن الكريم يشير بل يفصّل الحديث عن كتابة التوراة وتحريف أصلها في آيات كثيرة غير التي أوردناها . وإذا كان العلماء

والباحثون قد اتفقوا جميعا على كتابة التوراة من قبل اليهود وتحريف كلام الله فإن القرآن الكريم وقبل ألف واربعمائة سنة سبقهم في ذلك .

ولعل القرآن الكريم الذي هو أصح المصادر وأصدقها يعطينا معينا لاينضب في الحديث عن ديانة اليهود الوثنية التي سوف ندرس تفاصيلها في الصفحات اللاحقة .

(2)
الوثنية في سفر التكوين

● الوثنية في سفر التكوين !

سفر التكوين هو السفر الاول في التوراة المدونة وهو سفر أقرب الى التصور والتخيل من الحقيقة الدينية والواقع الديني . والمدقق في ثناياه يجد أن الربط بين أحداثه يكتنفه التناقض تارة والأخذ بأساطير الشعوب الأخرى مرة ثانية ويؤكد ماجاء في قصة الخلق ماورد في المزمور الرابع والسبعين 13 (أنت شققت البحر بقوتك كسرت رؤوس التنانين على المياه أنت رضضت رؤوس لوياتان).

فالاله حسب التصور الوثني اليهودي لم يخلق السماء أو الأرض إلا بعد صراعه مع التنين ذي الرؤوس المتعددة أو الرؤوس السبعة. وهذا التجسيم للاله وصراعه الذي يمكن ان يتصوره المرء هو تجسيم لتصارع قوتين كبيرتين قوة يمثلها (يهوه) إله اليهود وقوة يمثلها التنين ذو الرؤوس السبعة .

فإذا كان التنين بهذا الحجم الذي يستحق تصارع يهوه معه فمعنى ذلك أنه كان يشكل خطراً كبيراً على مسيرة خلق الكون وهذا

فعلا مانجده في أساطير الكنعانيين وغيرهم من الشعوب فيهوه لم يستقر وضعه ويصنع السماء والارض إلا بعد تصارعه مع التنين وقتله وكسر رؤوسه السبعة.

وهذا يعني أيضا أن (يهوه) قوة لها جسمها المحدود فالتصارع مع التنين يكون من قبل قوة تعادله قوة أو هي أقوى ولنتصور هذا التخيل الوثني الواضح . قوتان تتصارعان إحداهما تنين ذو رؤوس سبعة والأخرى قوة (يهوه) الذي قد يتخيله المرء وحشاً كبيراً هائلاً يستطيع مقارعة عدوّة التنين ويقتله . وتصور التنين من قبل اليهود لم يكن وليد خيالاتهم إنما هو تراث وثني أسطوري استقوه من عدة مصادر .

وقد ورد في أساطير الاكاديين ملحمة الخلق حيث يقوم الاله مردوخ بذبح تنين العماء (تعامت) ثم يضع نظاما للكون ويبني ايزاجيلا . . ويتفق معظم الباحثين على أن الكلمة العبرية (تيهوم) المستخدمة للدلالة على عباب الماء تشير أيضاً الى تعامت تنين العماء . وفي رؤية أخرى فإن ورود كلمة لوياتان تدل على أنها مأخوذة من اسم لوتان الكنعاني الذي ذبحه الاله بعل .

ويتصل سفر التكوين بالمزمور 104 حيث يتحدث عن نشاط الإله (يهوه) وهو يخلق السماء والارض ويرسي قواعده على المياه وهذا مايشابه اسطورة بعل الكنعاني الاله الذي يسوق السحب وينظم الفصول بعد قتله للتنين ذي الرؤوس السبعة وفي سفر التكوين تظهر صفاة الاله الوثني عند اليهود حين يتحدث السفر عن الإله الذي يمشي في الجنة أو يتمشّى .

فجاء في سفر التكوين الاصحاح الثالث : وسمعا صوت الرب الاله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الاله في وسط شجر الجنة فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت).

ففي هذا الحديث إشارة واضحة إلى تجسيد الاله عند اليهود فهو على ذلك له رجلان ورأس ولسان تماما كما هو أي إنسان وعندما يختبيء آدم وزوجته بين شجر الجنة يوحي ذلك أن اختباءهما سيحجب أنظار الاله عنهما بمعنى أن الإله الذي يوصف بالتجسيد الآدمي البشري سوف لن يرى آدم وحواء إذاهما اختفيا وراء الاشجار ، وسؤال الاله عنهما سؤال استفهامي (أين أنت؟) وليس سؤالا استنكاريا لأن الاختفاء وعدم رؤية الاله لهما يدل على محدوديه هذا الاله وعدم رؤيته كل شيء من خلال قدرة الخالق على رؤية مايخلقه .

وقد أشار الحديث بوضوح إلى سماع آدم وزوجته لصوت المشي الذي صدر عن الإله وهذا بالطبع تجسيد وثني واضح لمفهوم الرب عند اليهود .

وفي سياق التكوين التوراتي يقرر الاله أن آدم بعد تناوله الثمار من شجرة المعرفة أصبح كالإله . وجاء في نفس السفر : وقال الرب الاله هوذا الانسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر . ونتساءل هنا ماذا يعني قول الاله (واحد منا) هل يعني أن هناك مجمعاً للآلهة لها خصائص محددة في المعرفة للخير والشر لايجوز لأحد تجاوز حدوده والدخول في معارف ذلك المجمع ؟ أم أن كلمة (منا) تقصد الله

وملائكته ، وهل الملائكة تعرف معرفة الله ؟ وإذا كان ذلك كذلك فإن هذا ينفي وحدانية الله ويقرر أن هناك شركاء في معرفة الخير والشر ومن بينهم هذا الرب وهؤلاء الملائكة .

وتؤكد التوراة قصة التزاوج الالهي الوثني مع البشر . وهذا التزاوج يحدث بين أبناء الله وبنات الناس ، ولم يكن التزاوج شرعيا بل عن طريق الزنى والاباحية فقد جاء في الاصحاح السادس من سفر التكوين (وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون في الارض وولد لهم بنات أن أبناء الله ـ رأوا بنات الناس أنهن حسناوات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ماختاروا) .

إن هذا التخيل التوراتي لم يستند على المعرفة الالهية أو الاخبار الإلهي . إنما هو يستند على أساطير كنعانية وغيرها .

ولنلاحظ في هذا النص أن الناس أي البشر أنجبوا فتيات جميلات أملن أبناء الله إليهن وكأن الله اختار أن يكون للناس بنات وله أولاد . ويهبط أبناء الله ولاندري من أين فيتزوجون من بنات الناس . ماهو الشكل الذي تم فيه الزواج لاندري ،؟ وهل تجسد أبناء الله بأجساد بشرية حتى تتناسب الأشكال مع الشكل البشري للناس لاندري أيضاً ، وعلى ذلك فما هو شكل الاولاد الذين أنجبهم هؤلاء أي أبناء الله وبنات الناس ؟

وإذا عدنا إلى الاساطير الكنعانية فإننا سنرى أن تزاوجاً يحدث بين الاله (إيل) وبين عدد من النساء ، وأن ملوك الكنعانيين كانوا أنصاف آلهة . وهناك في العرف الاسطوري الكنعاني يقولون إن الملك

هو ابن الإله إيل وشقيق الالهة عناة باعتبار أنه نصف إله جاء نتيجة التزاوج الإلهي البشري الذي ينتج حسب الاسطورة أنصاف آلهة وأنصاف بشر .

وتحكي اسطورة الإآله الكنعاني إيل أن خطايا متلاحقة ارتكبها إله السماء . ومن هذه الخطايا زواجه بنساء كثيرات أنجب منهن ذرّية لا حصر لها . . وتقول الاسطورة إن (إيل) استمال (عشيرة) وريا (ريّا) وتزوجهما فأنجب من عشيرا سبع بنات ومن ريًا سبعة ذكور . وينسب إلى الإآله إيل أنه أول من تزوج من امرأة جنية مائية اسمها عين عبريت (عفريت) ويقال إن إيل الاله يتزوج في شيخوخته من امرأتين تحملان منه وتنجبان له إلهين ماردين شرهَين وهما إلها الخصوبة[1] .

فمسألة الزواج الالهي البشري وردت بشكل واضح لدى الكنعانيين . ولما كان تدوين التوراة قد تم بعد السبي البابلي أي بعد استعمار فلسطين من قبل اليهود كان من الاكيد أن كاتب التوراة صب من ذاكرته ما أسعفه به خياله وذكرياته عن الفكر الديني الكنعاني والأساطير الكنعانية ، وتلك الاساطير ظهرت قبل الغزو اليهودي التوراتي لفلسطين بكثير . ولعله من الواضح جدا أن كاتب التوراة الذي نقل إليه تراث الشعوب وأساطيرها أظهر مدى التصور الوثني اليهودي وهذا مايؤكد بالطبع أن التوراة دُوِّن تحت تأثير عقائدي واضح . فاليهود البدو يتقلبون من عبادة إلى عبادة وذلك حسب ما

---

(1) صموئيل نوح كرايمر أساطير العالم القديم ص 165 . الهيئة المصرية للكتاب 1924 ترجمة أحمد يوسف .

يأخذونه من الشعوب وعقائدهم لاسيما تلك التي احتكوا بها احتكاكا قويا كالكنعانيين والبابليين والفرس .

ويرد في السفر نفسه : (وبعد ذلك دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادا هؤلاء الجبابرة الذين منذ الدهر ذو واسم).

فإذا نظرنا إلى هذا النص وإلى ماورد في الاساطير الكنعانية لاسيما قول الاسطورة بأن (إيل) تزوج من امرأتين أنجبا ماردين شرهَيْن . لوجدنا أن المنبع الوثني الاسطوري هو واحد في كلا النصين . وهذا اللقاء بين أبناء الله وبنات البشر ينجب حسب التصور الاسطوري مخلوقات أقل قوة من الآلهة وأقوى من البشر وهذا ما كان يحدث بالنسبة لملوك الكنعانيين الذين يعتبرون أنصاف آلهة وأنصاف بشر .

وعلى أساس قول التوراة الوثنية بالنسبة لهذا الزواج الوهمي الاسطوري بنيت أكثر الخرافات الشرقية لاسيما تلك التي تتحدث عن (عوج بن عناق) الذي أوردت المصادر اليهودية القديمة أنه كان يمسك أثني عشر رجلاً من بني اسرائيل ويضعهم على رأسه وأن موسى عليه السلام قد صعد الى تلة حتى وصل كعبه وأنه ضربة بالسيف على كعبه فنزف فمات .

على أية حال فإن التصور العقائدي الوثني اليهودي اعتمد كليا على أساطير الشعوب وحكاياتها الخرافية . . وكما قلنا سابقا فإن مدوّني التوراة لم يجدوا إلا أن يسرقوا كل ما للشعوب من تراث وينسبوه إليهم حتى ولو كان فيه مايخالف العقل والمنطق . باعتبارهم بدوا ليس لهم

استقرار في مكان فإنهم يجدون في تبدل عقائدهم وسيلة من وسائل استمرارهم في البقاء بين الشعوب.

ويرد في سفر التكوين الاصحاح السادس : (**فحزن الرب أنه عمل الانسان في الارض وتأسف في قلبه . . فقال الرب أمحو عن وجه الارض الانسان الذي خلقته**). وهنا تُنفى عن الله خاصيته المتفرد بها ، وهي خاصية خلق الشيء ومعرفة ماذا سيكون عليه فالندم والاسف ليسا من صفات الله الخالق العالم إنما هي صفات بشرية يختص بها بنو البشر .

وبعد أن يقوم طوفان نوح ويعم الدمار الارض يراجع رب التوراة نفسه . فبعد أن يندم على خلقه للانسان ويقرر تدمير الارض من خلال الطوفان يعود برحمته وندمه مرة أخرى فيعاهد نفسه أن لايعود يلعن الارض لأن ماخلفه دمار الطوفان هو هائل ضخم لم يكن رب التوراة يتصور مدى فداحته ومدى دماره .

فيرد في سفر التكوين الاصحاح 8 : وقال الرب في قلبه لا أعود ألعن الارض أيضاً من أجل الانسان لأن تصور قلب الانسان شرير منذ حداثته).

فنلاحظ أن تصور التوراتيين للإله هو تصور وثني يقيس الالوهية بمقياس بشري لايتجاوزه .

إن صفات الألوهية كما عرفناها من خلال القرآن الكريم هي صفات مطلقة . فالله له الكمال المطلق والحق المطلق وكذلك العدل والخير وليس من صفاته صفة تقول إنه النادم الآسف المتأسف . فهذه

كما نعرف وندرك صفات بشرية تنطبق على المحدود البشري ولاتنطبق على اللامحدود الالهي المطلق .

ومما تقدم نرى أن التصور التوراتي الوثني بدأ منذ اللحظة الأولى التي تصور فيها مدونو التوراة ذلك الاله المشابه الى حد بعيد آلهة البابليين والفرس وغيرهم وإذا لخّصنا ما أوردناه في الصفحات السابقة نرى :

1) إن الاله التوراتي يتصارع مع قوة التنين ذي الرؤوس السبعة وهذا ماورد في الاساطير الكنعانية والاساطير البابلية المستندة على الاساطير السومرية .

2) للاله التوراتي جسد فيه قدمان ويتمشّى في الجنة ولايعرف أين يختبيء آدم رغم أنه خالقه .

3) للاله التوراتي أولاد يعشقون حسناوات من بني البشر ويتزوجونهم .

4 ـ الاله التوراتي مزاجي ، تارة يدمر وتارة يندم ويأسف على تدميره للارض ومحو البشرية عن وجهها .

وتظهر عقائد الوثنية من خلال التأثير الواضح والكبير للاساطير الارامية في سيرة يعقوب حفيد النبي ابراهيم ـ حسب رأي التوراة ـ

فبعد أن هرب يعقوب من وجه أخيه عيسو لجأ إلى خاله (لابان) الذي كان يسكن منطقة حران التي تخضع للآراميين إداريا ودينيا وقد تم هناك زواج يعقوب من ابنتي خاله ليئة وراحيل . وعندما اراد يعقوب الرحيل بعد مكوث دام عشرين عاما عند خاله سرقت زوجته

راحيل أصنام أبيها وأخفتها لتأخذها معها في رحلتها مع زوجها يعقوب إلى ارض فلسطين .

فجاء في سفر التكوين الاصحاح الحادي والعشرون (فسرقت راحيل أصنام أبيها وخدع يعقوب قلب لابان الآرامي إذ لم يخبره أنه هارب).

وفي نفس الاصحاح : (يقول لابان مخاطبا يعقوب : والآن أنت ذاهب لأنك اشتقت إلى بيت أبيك ولكن لماذا سرقت آلهتي).

وهذا أيضا دليل على أن راحيل لم تستطع ان تستغني عن ديانة أبيها لابان وقومها فحبّاً بهذه الاصنام التي ترمز للآلهة سرقتها وهي ملك لأبيها . وأرادت من ذلك أن تحافظ عليها مدى حياتها لاسيما أنها ستهاجر إلى منطقة أخرى قد لايكون فيها آلهة متمثلة بالاصنام التي كانت تعبدها .

وإذا تساءلنا ما هي تلك الاصنام وماذا تعني بالنسبة للآلهة الارامية التي يعبدها (لابان) خال(يعقوب) وابنته راحيل ؟

إذا درسنا الزمن الذي وجد فيه يعقوب عرفنا أنه يقع تقريبا في 1600 ـ 1700ق.م وهذا يعني أيضا ان الآراميين في تلك الفترة وجدوا في (كركاميش) اي جرابلس وفي سمأل (زنجرلي) وفي (حلب) وفي (دمشق) وكان أهم إله عندهم الإله (حداد) أو (حدد) وهو في الأصل إله الزوابع والعواصف . وقد صنعوا له رمزا بشكل صنم يضعونه في بيوتهم ومعابدهم وينقلونه في حلهم وترحالهم كما كان يفعل الاقوام المتنقلون من مكان إلى مكان أو تلك الاقوام التي تنتقل لأجل

المرعى والأمن . وقد كان (لابان) خال يعقوب يسكن (فدان أرام) التي هي مدينة آرامية في شمال سوريا أو فيما بين النهرين .

وعندما لم يستطع لابان إعادة أصنامه بسبب إخفائها من قبل ابنته راحيل يئس من محاولته وعقد عهدا بينه وبين يعقوب وتقول التوراة بان لابان ويعقوب صنعا رجمة من حجارة وجعلاها شاهدة على العهد . وهذا التقليد العقائدي يتعلق بالخرافة والاسطورة والمعتقد الاسطوري أكثر مما يتعلق بالديانة التوحيدية فيأتي في سفر التكوين : **(فأخذ يعقوب حجرا وأوقفه عموداً ، وقال يعقوب لاخوته التقطوا حجارة ، وقال للابان هذه الرجمة هي شاهدة بيني وبينك اليوم)** وقد اتفق لابان ويعقوب على تحكيم إله ابراهيم والهة ناحور آلهة أبيهما أي آلهة والد لابان ووالد يعقوب فقالت التوراة **(إله ابراهيم وآلهة ناحور آلهة أبيهما يقضون بيننا)** .

ويؤكد سفر التكوين مرة أخرى أن جماعة يعقوب ، امرأتية وأولاده وعبيده كانوا جميعا يحملون معهم أصناما تمثل آلهة متعددة .

وجاء في التكوين الاصحاح 35 ـ: **(فقال يعقوب لبنيه ولكل من كان معه اعزلوا الآلهة الغريبة التي بينكم فأعطوا يعقوب كل الآلهة الغريبة التي في أيديهم)** وهذا يعني أن يعقوب يعترف بوجود آلهة غير إلهِهِ ولكنها آلهة غريبة . وهو له إله خاص ولغيره من الناس آلهة خاصة بهم ولكلٍ اعتقاده وميله ، وهذا لايعني أن الآلهة الأخرى مرفوضة لأنها أقل شأنا من إله يعقوب . وإذا كانت مهمة يعقوب كنبي نشر ديانة التوحيد ورفض الوثنية فما مبرر طلبه من أهله جمع الآلهة الغريبة

لديه ؟ إن هذا إن دل على شيء فإنه يدل على الامور التالية :

1 ـ إن أولاد يعقوب وهم الاسباط اضافة ليوسف وبنيامين حملوا معهم من حران عقائد قومهم الذين عاشوا بين ظهرانيهم وهي عقائد وثنية تعتمد الآلهة الوثنية الصنميّة المجسدة .

2 ـ إن راحيل زوجة يعقوب حملت معها أوثان أبيها لتعبدها ولكنها لم تكن وحدها التي اهتمت بأوثانها . فحسب قول التوراة إن يعقوب طلب من بنيه جميعا جمع الآلهة الوثنية الصنمية لديه .

3 ـ يعقوب أراد إبعاد الآلهة غير المختصة به فهو له إله خاص وبقية الآلهة غريبة وهذا لايعني أنه يرفضها ويريد تخطّيها إنما أراد أن يبقى لإلّهه الخاص .

4 ـ يحاول اليهود القول بأن لبني اسرائيل إلهاً خاصاً هو اله بني اسرائيل وحدهم دون سواهم وعلى هذا فإن هذا الإلّه قبلي خاص بهم كما للقبائل آلهة خاصة . إن ما جاء في التوراة من تصريحات عن عقائد صنمية وثنية ينافي ويناقض ماجاء به القرآن الكريم .

يقول تعالى في سورة البقر الآية 131 **(وأوصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون)** .

ويكذب الله اليهود فيما ادعوه عن عقائد يعقوب ، إذ يقول في سورة البقرة الاية 132و133 **(أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق إلها واحدا ونحن له مسلمون تلك أمه قد خلت ،**

لها ماكسبت ولكم ماكسبتم ولاتسألون عما كانوا يعملون).

فالقرآن الكريم يصرح أن اليهود كاذبون ويطلب منهم أن يجيبوا بصدق طالما أنهم لم يعرفوا بماذا وصّى يعقوب بنيه عند موته ، هل كانوا حاضرين ذلك الموت ؟ ثم إن أبناء يعقوب الذين قالت عنهم التوراة كانوا يحملون أصناما وآلهة غريبة معهم . أجابوا يعقوب ردا على سؤاله ماذا تعبدون من بعدي : **(إننا نعبد إلهك واله أبائك ابراهيم واسماعيل واسحق إلها واحدا ونحن له مسلمون)** فلا تعدد للالهة ولا الهة غير الله إن يعقوب وبنيه لم يعبدوا سوى الله الواحد الاحد الذي عبده الموحدون ابراهيم وأبناؤه والذي سيعبده كافة الانبياء حتى محمد خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم .

وتتجلى عقائد الوثنية الفرعونية وتأثيراتها في العقيدة اليهودية من خلال العقائد المتعلقة بالتحنيط . فيأتي في سفر التكوين الاصحاح الخمسين **(وأمر يوسف عبيده الاطباء أن يحنطوا أباه فحنط الاطباء اسرائيل وكمل له أربعون يوماً لأنه هكذا تكمل أيام المحنطين)**.

وجاء أيضا في السفر نفسه والاصحاح نفسه : **(ثم مات يوسف وهو ابن مئة وعشر سنين فحنطوه في تابوت في مصر)**.

فالتحنيط الذي اختص به المصريون القدماء ومن تأثر بعقائدهم يقوم على أساس أن حفظ الجسد مهمة دينية يقصد بها أن الانسان يعيش حياته الأخرى في عالم الاموات فلذلك كانوا يقدمون للميت الاكل والشراب وما يحتاجه الانسان في تلك الحياة .

لكن الاهم من ذلك أن حفظ الجسد هو تقديس لصاحبه .

وهذا مايدل على عبادة الاموات والاجداد وهي عقيدة وثنية تجلت لدى التوراتيين من خلال تأثرهم بالمصريين القدماء وقد جاء في التوراة أن جثة يعقوب حملت ونقلت لتدفن عند آبائه اسحق وابراهيم في أرض فلسطين . وقد اهتم الكنعانيون أيضا بتقديس الاموات وعبادتهم فكانوا إذا مادفنوا الميت وضعوا معه الاكل والشرب ومايحتاجه في حياته الأخرى .

وما جرى مع يعقوب جرى مع يوسف ، فقد أوصى اخوته وبنيه ان يحنطوه كما حنط أباه يعقوب .

وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن التوراتيين وطوال عهودهم كانوا ينتقلون من عقيدة وثنية الى عقيدة وثنية أخرى وذلك عائد إلى طبيعة العقائد التي تمتلكها الشعوب التي سكن اليهود بين ظهرانيها وتأثروا بديانتها وعقائدها .

(3)
الوثنية في سفر الخروج

● **الوثنية في سفر الخروج :**

يركز التوراة في هذا السفر على إلصاق صفات خاصة بالإله الذي عبدوه فلكي يتميز عن آلهة الاخرين ألصقوا به صفات تخصهم وتخص وضعهم . وفي هذا السفر تبدأ ملامح خاصية العبرانيين لاسيما أنهم تضامنوا مع ما تبقى من أنصار الاله آتون المصريين لمجابهة الديانة الجديدة التي غيرها الفراعنة . لكنهم رغم ذلك فبدل أن يجعلوا إلههم في تصورهم إلهاً عاماً ضيقوا طبيعته وجعلوه إلهاً خاصاً بهم لقد وجدوا أن الفراعنة لهم آلهتهم العريقة ووجدوا أن صراعاً دينياً فرعونياً كان دوماً يؤدي إلى تطور المفاهيم الحضارية الدينية رغم وثنيتها .

ووجدوا أن تخصصهم بإله خاص بهم من شأنه أن يرفع من قيمهم الدينية والعقائدية أمام أعدائهم الذين لهم آلهتهم منذ زمن بعيد . والحقيقة أن اليهود ومنذ عصر موسى حتى زمن السبي تميّز تاريخهم بالصراع المتواصل لفترة سبعمائة سنة . صراع بين التوحيد

والوثنية . هم يريدون أن تكون لهم آلهتهم الخاصة بهم المتجسّدة والمشخصة ، وموسى يريد لهم التوحيد ، ورغم هذا وذلك فإن التوراة نفسها تشير الى علاقة هذا الإله المتصوّر بموسى رغم كل صفاته الوثنية المتجسدة .

يأتي في سفر الخروج الاصحاح الثالث : فقال الرب إني قد رأيت مذلة شعبي الذي في مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم إني علمت أوجاعهم فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين) . فهذا الحديث الذي جاءت به التوراة على لسان الرب يوضح خاصية الله بشعب معين وليس لكل الشعوب . وقد صنع هذا التخصيص كون وجود العبرانيين بين أقوام ترسخت دياناتها واعتقاداتها فلم يجدوا بدآ من مجاراة تلك الشعوب ، إن لكل شعب آلهة خاصة به سوى اليهود فوجدوا أنه لا مناص من تخيّل إله خاص له صفات يقتبسونها من هنا وهناك ليصلوا إلى تحديد هذا الإله وخاصيته .

وقد جاء في نفس السفر : فإذا سمعوا لقولك تدخل أنت وشيوخ بني اسرائيل إلى ملك مصر وتقولون له الرب إله العبرانيين التقانا) .

والحديث مع ملك مصر بشأن هذا الإله يعني رفضه تماماً لطلب بني اسرائيل لأنه لن يعترف على إله خاص بالعبرانيين إنما يعترف بإله خاص بمصر أو بإله عالمي له صفات العالمية ، وما جرى حسب قول التوراة أن ملك مصر فعلاً سخر من إله خاص للعبرانيين ورفض طلبهم وطلب موسى بإخراجهم من مصر ورفع العذاب عنهم وحينما

يستطيع الرب أن يحدد خروج مع من موسى يطلب من بني اسرائيل سرقة الذهب والفضة والمتاع من المصريين . ويكون أسلوب السرقة أو طريقتها الكذب والخداع فيقول الرب في سفر الخروج : بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين) ، وتتم سرقة المتاع عندما قالت نساء اليهود للمصريات بأنها تحتاجها لمدة مؤقتة وليس لأخذها نهائياً . . فالرب يأمرهم بالكذب أولا وبالسرقة ثانياً وهذه الصفة ليست من صفات إله واحد يأمر بالصدق والأمانة وعدم خداع الآخرين وسرقتهم وباعتبار أن هذا الإله أصبح إلها قبلياً لبني اسرائيل فهم يمتلكون أن ينعتوه بالصفات التي تمليها عليهم تصوراتهم .

وقد جاء في الخروج : فحمي غضب الرب على موسى ، وهذا ما أشرنا إليه في صفحات سابقة من أن الإله الذي يندم ويأسف على فعل شيء لا بد أن يغضب وتحمر عيناه ثم يأسف وهكذا فهو كما نرى إله جسدي له صفات المخلوقات وليس صفات الخالق .

ويأتي في الخروج الاصحاح 7 : وهو يكلم الشعب عنك وهو يكون لك فماً وأنت تكون له إلهاً وفي الاصحاح نفسه : وقال الرب لموسى أنظر أنا جعلتك إلهاً لفرعون وهرون أخوك يكون نبيك .

في هذين النصين نرى التحول في الصفة فموسى يعيّن من قبل الرب إلهاً وهذا يذكرنا بالاساطير الكنعانية عندما يلجأ الإله (إيل) وهو كبير الآلهة إلى تعيين آلهات تُكَلّف بمهمات خاصة . وهذا ما حدث عندما كلف (إيل) ابنه (بعل) بارسال المطر والندى على الأرض أو بمحاربة الوحوش الضارية أو ما شابه ذلك .

ولعل التكليف من قبل الرب لموسى بمهمة الجدال مع فرعون على أنه رب مبعوث إليه يشابه إلى حد بعيد تكليف كبير الآلهة المصريين لبعض الشخصيات الإلهية القيام بأعمال خاصة بها والمرجّح أن الاساطير المصرية لم تكن بعيدة عن عقلية أتباع موسى الذين خرجوا من مصر قبل قليل . فمكوثهم فيها مئات السنين يؤكد أنهم تمثلوا الديانة الوثنية المصرية خير تمثّل .

ويتجسد الرب اليهودي بأشكال عدة فهو يقود هؤلاء القوم في الصحراء تارة يتجسد عموداً من سحاب وذلك في النهار وتارة يتجسد عموداً من نار وذلك في الليل وقد جاء في الخروج الاصحاح الثالث عشر : وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود من سحاب ليهديهم في الطريق وليلاً في عمود نار ليضيء لهم ولم يبرح عمود السحاب نهاراً وعمود النار ليلاً من أمام الشعب) .

وهذا التجسيد هو بداية التمهيد لدمغ الاله التوراتي بدمغة المحارب فطالما أن الغاية من قيادته لهؤلاء العبرانيين الدخول إلى أراضي الشعوب الاخرى واحتلالها فإن صفة الاله المحارب لا تخرج عن تلك الصفات التي أطلقها الكنعانيون على بعل وتلك التي أطلقها اليونانيون والرومان على الإله (مارس) إله الحرب في الميثولوجيا عندهم .

وتتضح دلالة التمييز الإلهي الخاص لدى التوراتيين من خلال مسيرة التصور اليهودي للإله فهي تتطور من مفهوم لمفهوم حتى تجرب قدراتها في خلق الاله المتناسب دوماً مع تطور العقلية اليهودية ومع الظروف المحيطة بهم .

يأتي في الخروج الاصحاح الخامس عشر (من مثلك بين الالهة يارب) وفي الاصحاح الثامن عشر : الآن علمتُ أن الرب أعظم من جميع الآلهة) .

فمن خلال هذا السياق يتبين لدينا أن هناك تنازعاً نفسياً لدى اليهود بين اتخاذ هذه الآلهة أو بين تلك، وبعد كل نعمة تحل بهم يقولون إن هذه الآلهة هي الأفضل فهناك إذاً مقارنة مستمرة بين الآلهة ، وتمجيداً للإله الخاص فإن السياق جاء موضحاً أفضلية هذا الاله على غيره من الآلهة .

ويؤكد اليهود ذلك في توراتهم فعلى لسان ربهم يوردون نصوصاً كثيرة يطالب من خلالها إبعاد الآلهة الاخرى لأنه غيور على مصلحته وغيور من تلك الآلهة .

وإله العبرانيين ينزل من سمائه ليلاقي شعبه أو زعماء شعبه فهو قاصر أن يوحي لهم وقاصر عن أن يلهمهم وصاياه وهو في عرشه ، وهذه الصفة التي يصفون بها هذا الإله تنطبق كثيراً وكثيراً جداً على ملوك الشعوب الذين ينزلون من قصورهم بين الفينة وا لاخرى ليستمعوا الى مطالب شعوبهم .

ففي سفر الخروج الاصحاح 19 : (لأنه في اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء) .

(وخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله) .

وتتكرر ملاقاة هذا الملك الرب مع شعب موسى أو جماعاته . حيث يهبط فوق الجبال المشتعلة بالسحب والنار . وهذا العنصر

الرمزي في هذه العقيدة الوثنية يبقى حياً في كافة أجزاء التوراة حيث سنرى لاحقاً أن كاهناً ما يعلن حضور (يهوه) فوق جبل صهيون كنار متأججة تحمي أورشليم من أعدائها وتمحق الكفرة .

ولما كان أتباع موسى التوراتيون لا يتوانون عن تغيير الهم فإن هذا الإله يؤكد دوماً مطالبته لهم بأن يحطموا الآلهة الأخرى أو أن يبعدوها عنه وعن عبادته .

ففي الخروج الاصحاح 20 يقول : لا يكن آلهة أخرى أمامي ، لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة مما في السماء من فوق وما في الارض من تحت وما في الماء من تحت الارض . لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إله غيور) .

ثم يقول : لا تصنعوا معي آلهة فضة ولا تصنعوا لكم آلهة ذهب) .

فالسمة الاساسية لهذا الرب هي الغيرة من الآلهة الأخرى . إنه تركيز على الإله القومي الخاص ببني اسرائيل أو باتباع موسى .

ويعلق آرنولد توينبي المؤرخ العالمي المعروف على طبيعة هذا الإله بقوله : تصوروا إلههم في صورة انسان ، ويطلب هذا الكائن الانساني الإلهي من أتباعه طاعة عمياء وولاء صادقاً كاملاً ، ولا تختل وجهة النظر هذه بشأن طبيعة إله اليهود ذات المنحى الانساني بين مثقف وجاهل قديماً وحديثاً ، ويعثر عليها الباحث بين القبائل الاسرائيلية البربرية في سالف الايام ولا يسلم من الايمان بها فلاسفة اليهود المحدثين ، ولم يحدث قط أن تصور اليهود ربهم في صورة تتنزه

عن التجسيد الانساني حتى وقتما قرنوه بالحقيقة الروحية المطلقة[1] .

ونرى أن اليهود في هذا المنحى آمنوا بإلههم إضافة لإيمانهم بأن هناك آلهة أخرى غير إلههم ولكن هذا الرب الخاص فرض عليهم أن لا يفكروا بآلهة أخرى مصنوعة من ذهب أو من فضة . ويطلب منهم باستمرار إزاحة الآلهة الغريبة ليكون خاصاً لهم وحده .

وقد جاء في الخروج السفر 24 : ورأوا إله اسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الازرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني اسرائيل فرأوا الله فأكلوا وشربوا) .

فإمكانية تصور شكل هذا الاله صارت طبيعية طالما أن له رجلين وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الازرق .

إن هذا التشبيه التوراتي أو هذا التصوير للإله يذكرنا بكل أشكال الآلهة الوثنية لـدى الشـعوب القديمة . ولعل طبيعتهم البدوية الخشنة لم تكن تؤهلهم كي يتعرفوا على العقيق وغيره من الاحجار الكريمة المستخدمة في تزيين الاوثان والاصنام . ولم يتح لهم عدم استقرارهم التعرف على مثل هذه التطورات التي هي من اختصاص شعوب مستقرة في بلادها وشهدت تطوراً حضارياً دينياً عبر سلسلة من الصراعات الحضارية الدينية .

ومجرد إيراد النص التوراتي قوله (تحت رجليه) فإن ذلك يعني تماماً التصور الوثني المحدود لصفات الإله عندهم ، إضافة لقوله انهم

---

(1) فؤاد شبل . مشكلة اليهودية العالمية . دراسة تحليلية لآراء أرنولد توينبي . المكتبة الثقافية عدد 241 1970

رأوا الله . وهذه الرؤية البصرية تتكرر في معظم أسفار التوراة وسنجدها واضحة بلفظها وتصوراتها في صفحات أخرى .

ثم يرد في نفس السفر الاصحاح 24 : وكان منظر مجد الرب كنار آكلة على رأس الجبل أمام عيون بني اسرائيل) .

وهذا ما يذكرنا بنص سابق قالت فيه التوراة إن الرب كان يسير أمامهم كعمود من النار في الليل . إن التوراة تصر على أن بني اسرائيل رأوا الله ويرونه في كل مناسبة . وكأن ذلك هاجسٌ يظل في نفوسهم ليؤكدوا أن ربهم الخاص بهم يظهر لهم ويرونه مثل ما يرى بقية الشعوب آلهتهم .

وفي الاصحاح 25 من نفس السفر تقول التوراة : وكلم الرب موسى قائلاً تكلم بني اسرائيل أن يأخذوا لي تقدمةً من كل من يحثه قلبه تأخذون تقدمتي . وهذه هي التقدمة التي تأخذونها منهم . ذهب وفضة ونحاس واسمانجوني وأرجوان وقرمز وبوص وشعر معزى وزيت للمنارة وأطياب الدهن المسحة والبخور والعطر وحجارة جزع وحجارة ترصيع للرداء والصورة فيصنعون لي مقدساً لأسكن في وسطهم) .

في هذا النص يبدو تجسيد الله أكثر وضوحاً ، فالرب يطلب من اليهود أن يصنعوا له مسكناً مصنوعاً من الذهب والفضة والارجوان والقرمز وما شابه ، ثم يطلب أن يصنعوا رداء مرصعاً لاسيما الصدرة التي يلبسها الانسان لتغطي صدره .

غير أن هذه الاشياء التي وردت اقتبسها اليهود من الكنعانيين اقتباساً كاملاً وواضحاً فكما ورد في نصوص أوغاريت عن الاساطير

الحنعانية أن بعل يطلب أن يُصنع له بيت من الفضة والذهب ، وتصبغ أشياؤه بالارجوان والاصباغ الحمراء ويطلب أيضاً البخور كي يُحرق تقديساً له ، ثم يطلب الزيت والدهن كي يمسح جسده فيهما وذلك تبركاً وتطهيراً . . وقد ورد لدى الكنعانيين أنهم كانوا يستخدمون قرن الزيت للمسح وهي عادة كنعانية معروفة لدى طقوسهم .

ويمكن للاله (إيل) أن يحفظ الناس من الشقاء بواسطة الدهان . ويمكننا أن نجد هذا التعبير في نصوص التوراة وفي استعمال الالوان التي اشتهر بها الاقدمون فيمكن أن تكون بعض الفضائل السحرية مرتبطة ببعض الالوان الثابتة مثل لون الارجوان[1] . وكان من مهمات الآلهة عناة المسح بالزيت) وهي آلهة كنعانية معروفة . ويأتي في الاصحاح 32 من نفس سفر الخروج : اجتمع الشعب على هرون وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا) .

في هذا الاطار تفصح التوراة عن منحى عقائدي نفسي وثني لدى اليهود .

فعندما غاب موسى عنهم رأوا أنه بغيابه غاب الرب فلذلك احتاجوا إلى آلهة تسير أمامهم وترشدهم . وتبدو مخلّفات الاعتقادات السابقة التي ورثوها عن المصريين قد ظهرت على السطح في صحراء

---

(1) ديل ميدكو . اللآلِيء نصوص من الكنعانية ترجمة مفيد عرنوق . منشورات مجلة فكر طبعة أولى 1980

سيناء لأنهم لم يجدوا أفضل من صنم البقرة أو الثور كي يقدموا له عبادتهم وطاعتهم .

وتقول التوراة : فأخذ ـ هرون ـ (الذهب من أيديهم) وصنع لهم ثوراً . وصوره بالازميل وصنعه عجلاً مسبوكاً فقالوا هذه آلهتك يا اسرائيل التي أصعدتك من مصر فلما نظر هارون ، بنى مذبحاً أمامه ونادى هارون وقال : غداً عيد الرب .

ثم يرد أيضاً : صنعوا لهم عجلاً مسبوكاً وسجدوا له وذبحوا له وقالوا هذه الهتك يا اسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر .

ويرد : ثم أخذ موسى العجل الذي صنعوا وأحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعماً وذراه على وجه الماء وسقى بني اسرائيل) .

وهنا نتوقف لنرى كيف استقى التوراتيون عبادة البقرة والعجل ومن أي المصادر الاسطورية وقد ورد في الميثولوجيا الكنعانية أن الإله (إيل) رُمز له بالثور وعند المصريين فقد كانت البقرة تمثل العطاء والخصب . وقد صوروا السماء بالبقرة الكبيرة وهي رمز الأم الكبرى وبشكل آخر فقد أخذت المعبودات في معظم الحالات الشكل الحيواني . وقدم الاله في صورة حيوان كامل كما هو الحال مع الإله (العجل) ابيس . وقد امتدت واتسعت عبادة العجل (ابيس) في ممفيس والذي قدس في وقت مبكر منذ الاسرة الاولى . وكان تقديس (ابيس) يصور تطوراً شعبياً إلى حد ما)[2] .

---

(2) سليمان مظهر . قصة الديانات . دار الوطن العربي . القاهرة بيروت . طبعة أولى 1984 ص 27

وقد رأى المصريون في السماء بقرة كبيرة كما قلنا تعتمد على قوائمها الاربع التي تمثل دعائم السماء وفيها يبحر قارب يحمل شمس الصباح ، وقد كانت للسماء الهات أخريات هن (حاتمور) برأس البقرة[3] .

وعندما نجد أن تدوين التوراة تم في بابل أو أنه دوّن أكثره أيام السبي فقد تأثر اليهود بديانة البابليين . فمن المعروف أن الثور المجنح رمز لأحد الآلهة عند أهل بابل كما أن الاله (سين) القمر ، كان يرمز له عندما يكون بدراً بالثور القوي ذي القرنين الحادين .

ولا يخفى علينا ما للبقرة والثور من تقديس لدى أكثر الديانات الهندية وجميعها عقائد وثنية وليست توحيدية . غير أن تأثر اليهود بعبادة العجل والبقرة استمدوها من الكنعانيين والبابليين والمصريين كونهم عاشوا في أراضي هذه الشعوب واقتبسوا عنها العقائد الوثنية .

ويلفت النظر قول التوراة : ثم أخذ موسى العجل الذي صنعوا وأحرقه بالنار وطحنه حتى صار رماداً وذراه على وجه الماء .

فقد ورد في الاسطورة الكنعانية أن عناة عندما حاربت الإله (موت) شطرته نصفين وطحنته بمطحنتها وذرته بمذراتها على وجه الارض ، وقد ورد ذلك حرفياً في نص من نصوص أوغاريت : يقول الاله موت : بسببك يا بعل رأيت العار ، بسببك رأيت البعثرة في السيف بسببك رأيت الاحتراق بالنار بسببك رأيت الطحن بالرحى)

---

(3) سليمان مظهر . قصة الديانات . دار الوطن العربي . القاهرة بيروت . طبعة أولى ص 29 ـ 30 .

ويبدو أن الأخذ من الاسطورة الكنعانية جاء معنى ولغةً ، لفظاً ومضموناً ، وباعتبار أن التوارة تصر على أن اليهود هم شعب الرب فإن الرب نفسه يندم على فعل أي شيء سيّء تجاه هذا الشعب .
يأتي في الاصحاح 14 : فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه) .

وتأكيداً على بشرية هذا الإله وتجسيده فقد أوردت التوراة أن لوحي التوراة التي أراد ربهم أن يلقنها لموسى هي من صنعة الله كتبها بيده . فتقول التوراة (واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين) فتحديد كتابة اللوحين بأنها من صنعة الله والكتابة كتابته يعني إضفاء صفة البشرية على هذا الإله وتجسيداً له ولحدوده .

وتعود التوراة مرة أخرى إلى عمود السحاب الذي تجسَّد الرب به ولكنه يأخذ مجرى آخر هنا . ففي الخروج الاصحاح 33 : وكان عمود السحاب إذا دخل موسى الخيمة ينزل ويقف عند باب الخيمة ، ويتكلم الرب مع موسى فيرى جميع الشعب عمود السحاد واقفاً عند باب الخيمة .

فنرى أن الرب ينزل كعمود سحاب ويقف عند باب الخيمة ويتكلم موسى والرب كما يتكلم الرجل وصاحبه والادهى من ذلك أن أتباع موسى يرون الرب في هذا العمود من السحاب . ويكلم موسى ربه وجهاً لوجه كما يكلم الرجل رجلاً آخر .

وفي الاصحاح 34 : فنزل الرب في السحاب فوقف عنده هناك

ونادى باسم الرب ، فاجتاز الرب قدّامه) . وهذا تأكيد آخر على تجسيد الرب الذي سار أمام موسى وتبعه الاخير بخطى بشرية مجسدة .

وفي الاصحاح 40 : ثم غطت السحابة خيمة الاجتماع وملأ بهاء الرب المسكن فلم يقدر موسى أن يدخل خيمة الاجتماع لأن السحابة حلت عليها وبهاء الرب ملأ المسكن . وعند ارتفاع السحابة عن المسكن كان بنو اسرائيل يرتحلون في جميع رحلاتهم . وإن لم ترتفع السحابة لا يرتحلون إلى يوم ارتفاعها لأن سحابة الرب كانت على المسكن نهاراً وكانت فيها نارٌ ليلاً أمام عيون كل بيت اسرايل في جميع رحلاتهم) .

(4)
الوثنية في سفر التثنية

● **الوثنية في سفر التثنية :**

وفي سفر التثنية الاصحاح 14 : وقال الرب لموسى حتى متى يهينني هذا الشعب .

فالتجديف على هذا الرب مسألة عادية في التوراة طالما أنه إله خاص بهم . وطالما أنهم صنعوه من خلالهم ووصفوه بالصفات التي تحلو لهم .

وفي المسار التاريخي التوراتي يأخذ الإله الوثني اليهودي صفة الاله المحارب الداعي إلى القتال لاسيما عندما يبدأ التطلع لتنفيذ عملية الغزو لفلسطين وبعض المناطق المجاورة ويتجلى ذلك مع وسط سفر التثنية ومن ثم سفر العدد ، لكنه يصبح في سفر يشوع مسألة أخرى .

ففي البداية يدعو هذا الرب إلى احتلال أراضي الشعوب الاخرى بأساليب القهر والظلم والعنصرية والقسوة . . وتعتبر دعوة الرب لهذا الاحتلال دستوراً قتالياً سياسياً لهؤلاء التوارتيين .

فيأتي في سفر التثنية الاصحاح 20 : حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويُستعبـدلك ، وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف .

الإله التوراتي يملي هنا على أتباعه شريعته المليئة بمشاعر العدوان ونزعة التعطش إلى القتل والعدوان . . فهذه الصورة التي وضعها اليهود لإلهم هي الصورة التي شكلوا خطوطها من أهدافهم ومزجوا ألوانها من أطماعهم ، وحددوها باطار من الروح التي حملوها في صدورهم . . وقد أرادوا لهذا الاله أن يكون قاسياً داعياً للحرب مدمراً يملي على شعبه الخاص دروساً في القتال والحقد والقسوة والوحشية ويتابع ربهم مسيرتهم في كل الامكنة التي يصلون اليها فيأتي في العدد اصحاح 22 ؛ فأتى الله إلى بلعام وقال من هم هؤلاء الرجال الذين عندك .

إننا نرى هذا الاله يتنقل من مكان إلى مكان يرعى جنوده وخاصة شعبه المقاتل أو المنطلق للقتال ويرى المرء أن هؤلاء العبرانيين هم الذين يحملون هذا الاله الوثني معهم اينما ذهبوا وحيثما توجّهوا . وهذه العادة كانت متبعة لدى الشعوب القديمة كلها حيث كان الاله يُحمل معهم لينصرهم على أعدائهم وباعتبار أن رموز هـذا الإله تتجسد بالاوثان والاصنام فكان من السهل حمله معهم وبأي شكل كان ، ومثال على ذلك حملُ الفلسطينيين لإلههم (داجون) في حربهم مع العبرانيين أيام الملوك والقضاة .

ويتدخل الرب في شؤون الحرب فيوافق على حرب فئة ويعارض في حرب فئة أخرى حتى أن تدخله يأتي بأسلوب فجٍّ وأحياناً مضحك .

ففي العدد يأتي قول التوراة : فحمي غضب الرب لأنه منطلق ، ووقف ملاك الرب في الطريق ليقاومه وهو راكب على أتانه وغلاماه معه فأبصرت الاتان ملاك الرب واقف في الطريق .

نرى هنا عجز الرب عن صد الرجل مباشرة فيبعث له بملاكٍ يقف حائلاً دون تنفيذ مأربه لكن هذا الملاك لا يُرى إلا من قبل حماره في المرة الأولى والثانية وأخيراً يرى الرجل ملاك الرب يقف حاجزاً في طريقه ، ليمنعه من تنفيذ مأربة وهذا يذكرنا بالحكايات الخرافية المتحدثة عن الجن وكيف يتمثل للحيوانات فيصدها عن السير دون أن يراه راكبها . ولو كان هذا الرب قادراً على كل شيء لمنع الرجل دون اللجوء إلى ملاك كما تزعم التوراة يتوقف أكثر من مرة في طريق الحمار ليصده عن السير في طريقه .

ويطلب الرب من موسى أن يكلم شعبه بشأن التقدمات التي تقدم له فيحددها في سفر العدد الاصحاح 28 - وكلم الرب موسى أوصي بني اسرائيل وقل لهم قرباني طعامي مع وقائدي رائحة سروري تحرصون أن تقربوه لي في وقته ، وككل آلهة وثنية يتصورها الوثنيون يحدد الرب التوراتي تقدماته لكي يفرح ويكون مسروراً ويرضى عن شعبه الخاص به .

ولكون عدم استقرار اليهود على ديانة أو معتقد محدد فإنهم

ما لبثوا أن اختلطوا مع الموآبيين وأحبوا بناتهم ونساءهم ولكن بشرط اتباع ديانتهم الوثنية وديانة الموآبيين ، وقد جاء في سفر العدد الاصحاح 25 :

(وأقام اسرائيل في شطيم وابتدأ الشعب يزنون مع بنات موآب فدعَوْنَ الشعب إلى ذبائح آلهتهن فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهن وتعلق اسرائيل ببعل فغور .

وبعل فغور اسم موآبي لإله كان يعبد في جبل فغور . إذاً فحتى في أول لحظات الاختلاط بالشعوب القديمة راح اليهود يرفضون ربهم ، فوراء شهواتهم ومن أجل الزنى والفواحش تركوا ربهم الخاص فوراً واتبعوا آلهة الموآبيين .

ورغم خروج اليهود على ربهم ورفضهم له فإن هذا الرب يطلب منهم الدخول إلى نهر الاردن . ويطلب منهم تعيين مدنٍ وأماكن لهم تكون حصناً حصيناً لكل قاتلٍ هارب من العدالة ولكل قاطع طريق مهما كان جنسه .

وفي الاصحاح 35 سفر العدد : وكلم الرب موسى قائلاً كلم بني اسرائيل وقل لهم إنكم عابرون الاردن إلى أرض كنعان فتعيّنون لأنفسكم مدن ملجأ لكم ليهرب إليها القاتل الذي قتل نفساً .

فهذا الرب يعد اليهود بمدنٍ وأراضٍ مقابل ولائهم له . إنه يعدهم أن يملكهم أراضي لا يملكها هو ولا حقّ لاسرائيل في الاستحواذ عليها .

ويبدو أن هذا الرب الوثني (يهوه) يظل يلاحق أتباعه فيعدهم الوعود تلو الوعود مقابل عودتهم له مرة ومرة ، فكلما شعر أن شعبه ارتـدّ عنـه خرج لهم بوعدٍ جديد وأمنيات جديدة ليعودوا له ويتركوا عبادة الآلهة الأخرى .

(5)
الإله التوراتي السياسي وقيادة الغزو

* الإله التوراتي السياسي وقيادة الغزو :

يقول توينبي عن الإله اليهودي : ولعله كان في الاصل رب إحدى القبائل الكنعانية أو مِديَن ، ومهما يكن من أمر موطنه الاصلي يبدأ سجله التاريخي منذ أن اتخذته إسرائيل إلهاً سياسياً لها[1]

وتذكر التوراة أن العهد قد تم بين (يهوى) ويوشع في شتيم . وبفضل ذلك العهد أتيح للعبرانيين دخول فلسطين .

إننا نستطيع هنا أن ندرك الارتباط الوثيق بين مفهوم القائد الالهي السياسي وبين عمليات الغزو العسكري الدموية المسلحة .

صحيح أن رب اليهود كما صورته التوراة قاد شعبه في النهار والليل وكان يتجسّد لهم حسبما يريدون لكنه منذ بداية سفر يوشع يأخذ طابعاً آخر ، طابعاً عسكرياً مقاتلاً . يخطط للمعارك ، ثم يخطط لأي المدن أو القرى يتجه المحاربون . ودوما يدعو إلى إبادة الشعوب

---

(1) فؤاد شبل . مشكلة اليهودية العالمية . ص 25 سبق ذكره .

إبادة جماعية . وإذا ما قصر جنوده في القتال يذمهم ويغضب عليهم إلخ .

يبدأ توجه الرب اليهودي عسكرياً منذ الاصحاح الاول في سفر يشوع ، فهو يكلم يشوعَ ويطلب منه أن يتشجع ويتشدد لأنه مقبل على فتح بلاد تكون ملكاً له ولغزاة العبرانيين ، ويحدد الرب اليهودي الارض بقوله كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته ، من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات ،

ثم تقول التوراة إن الله في وسطكم يطرِد من أمامكم الكنعانيين . الخ ، ويعدّد الشعوب الاخرى التي يعدهم ربهم أنه سيطردهم من أمامهم .

واضح أن هذا الرب الذي يقود اليهود هو كأي إله وثني يقود شعبه إلى المعارك بأمرهم وتخيلاتهم وتصوراتهم لا بأمره ولا بقوته ، وهكذا تصور بنو اسرائيل ! ! أن هذا الرب يحدد أولاً البلاد التي سيحتلونها ثم يقودهم في البراري والسهول والانهار ويفعل لهم المعجزات أمامهم ثم يأخذون بمشورته بفتح المدن والبلاد .

وفي الطريق إلى أريحا يلتقي يشوع برجل فيسأله هل لنا أنت أو لأعدائنا فقال كلا بل أنا رئيس جند الرب الآن أتيت . ثم إن الرب يوصي يشوع أن يدور مع غزاته حول المدينة سبع مرات ثم يهتف المحاربون جميعاً ويقول لهم يشوع اهتفوا فقد أعطاكم الرب المدينة .

ونرى أوامر الرب تتجلى هنا بأنه يطلب من يشوع أن يقتل جميع من في المدينة من رجال ونساء وأطفال وشيوخ وحيوانات . وراحاب

الزانية التي حمت الجاسوسين الذين بعثهما يشوع هي وحدها لايطالها القتل لأنها عملت من أجل الغزاة ضد أهل أريحا وقد جاء في الاصحاح السادس من سفر يشوع : (وحرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف . وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها . وهكذا كان كلام الرب .

فنلاحظ هنا أن تنفيذ عملية المجزرة كانت بأمر من الرب الذي يقود الغزاة . ويظهر هذا الرب بكل وحشية وهمجية وبكل انتهازية ، فهو يسمح لراحاب الزانية بالعيش لأنها عملت من أجل غزاته رغم أن كل شرائع الارض لا تبيح مجازاة الزانية إلا بما تستحق ، وفي الوقت نفسه يأمر بقتل الاطفال والشيوخ والنساء والبقر والحمير ! ثم بحرق المدينة . إن أي تصور بشري لطبيعة هذا الإله لا يمكن أن يصفه إلا بالبطش والقسوة والهمجية والحقد الدموي الواسع .

ومن طبيعة الشعوب البدائية أنها عندما تكون في حالة هجوم وقوة فإنها تضفي على آلهتها طبيعة قوية مهاجمة باطشة . على العكس مما لو كانت في حالة ضعف وانحلال فإنها إما تعبد آلهة الشعوب الاقوى ، أو أنها تضفي على معبودها صفة السلام والمحبة والاذلال الخ .

وبعد الانتهاء من حرق أريحا يتحول الغزاة بأمر الرب إلى (عاي) لكنهم يندحرون ، فيسقط يشوع على وجهه ويعفر رأسه بالتراب ويعاتب ربه بقوله : لماذا عبّرت هذا الشعب الاردن تعبيراً لكي تدفعنا إلى يد الأموريين ليبيدونا .

ويشفق الرب على جنوده فيطلب منهم إعادة الكرة على المدينة (عاي) ويأمر الرب يشوع أن يفعل بها كما فعل بأريحا . أن يقتل كل اجناس البشر فيها من أطفال ونساء وشيوخ لكن الرب في هذه المرة يطلب أن تكون الغنيمة ملكاً للجنود .

ويدخل الرب الحرب ويضع خططه ليشوع حيث يطلب منه (أن ينصب كميناً للمدينة من ورائها) وعندما يفتحها يطلب أن يحرقوها (كما أمر الرب) (ويكون عند أخذكم المدينة أنكم تضرمون المدينة بالنار كقول الرب تفعلون .

(وكان لما انتهى اسرائيل من قتل جميع سكان عاي في الحقل في البرية حيث لحقوهم وسقطوا جميعاً بحد السيف حتى فنوا ، أن جميع اسرائيل رجع إلى عاي وضربوها بحد السيف . وأحرق يشوع عاي وجعلها تلاً أبدياً خراباً .

هكذا كان يأمر الإله الوثني التوراتي . وكذلك أمر في جميع مراحل الغزو اليهودي لأرض فلسطين ، يأمر بالقتل والبطش والاحتلال وعدم الشفقة ، فهي كما نرى أوامر قائد عسكري دموي جبار .

ويظل هذا الرب يتدخل في شؤون القتال حتى أنه يقول ليشوع (لا تخفهم لأني بيدك أسلمتُم لا يقف رجل منهم بوجهك) (فأزعجهم الرب أمام اسرائيل وضربهم ضربة عظيمة في جبعون وطردهم ، وبينما هم هاربون من أمام اسرائيل وهم في منحدر بيت حورون رماهم الرب بحجارة عظيمة من السماء إلى عزيقة فماتوا والذين ماتوا بحجارة

البرد هم أكثر من الذين قتلهم بنو إسرائيل بالسيف)

ويتضح الحس الاسطوري من خلال تخيل كاتب التوراة لربه وهو يسقط حجارة من بردٍ وحجارة عظيمة تقتل أكثر جيوش أعدائهم . ثم نرى في نفس الاصحاح . أن الشمس تتوقف عن المسير هي والقمر مدة يوم واحد من أجل أن يقضي اليهود على أعدائهم وبقوة هذا الرب الخارقة : دامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل . ولم يكن مثل ذلك اليوم لأن الرب حارب عن اسرائيل) . وغني عن القول أن إدخال العنصر الاسطوري من طبيعة كتّاب التوراة الذين تأثروا ونقلوا تراث الكنعانيين والبابليين وزينوه بكثير من تصوراتهم وخيالاتهم ، وبكل حقد استطاع يوشع أن يجيّر ربه الوثني لمشيئته فإذا به يصب هذا الحقد في أساليب تعامله مع الشعوب التي غزا أرضها ، تقول التوراة في سفر يشوع الاصحاح العاشر : وكان لما أخرجوا أولئك الملوك ألى يشوع دعا كل رجال اسرائيل وقال لقواد رجال الحرب الذين ساروا معه تقدموا وضعوا أرجلكم على أعناقهم هؤلاء الملوك فتقدموا ووضعوا أرجلهم على أعناقهم فقال لهم يشوع لا تخافوا ولا ترتعبوا ، تشددوا وتشجعوا لأنه هكذا يفعل الرب بجميع أعدائكم . وضربهم يشوع بعد ذلك وقتلهم وعلقهم على خمس خشب وبقوا معلقين على الخشب إلى المساء .

ومرة أخرى أمر ربهم أن يضربوا بلدة (مقيده) ويقضوا على جميع أطفالها ونسائها وفعل ذلك أيضاً في قرية (لبنة) ويستمر يشوع منفذاً

أوامر ربه من قرية إلى قرية إلى أن تم له إقامة أكثر من ثلاثين مجزرة باسم ربه يروح ضحيتها أطفال ونساء وشيوخ عدا الحيوانات التي لم يشفق الرب عليها بل دعا إلى قتلها جميعها ، . وفي كل مجزرة وكل مذبحة ينطق يشوع بقولته المشهورة في التوراة (كما أمر الرب إله اسرائيل) ولأن الرب حارب عن اسرائيل) ففعل يشوع بهم كما قال له الرب .

وتقول التوراة كما أمر الرب أبادوهم ولم يبقوا نسمةً . وعندما يشيخ يشوع يخاطبه الرب بشأن أراضٍ أخرى لم يحتلها . (فقال له الرب أنت قد شخت تقدمت في الايام وقد بقيت أرض كثيرة جدا للامتلاك)

وهذه الطموحات طموحات الإله الحربي الذي يقود اليهود ولا يكتفي باحتلالٍ بل هو جشعٌ يريد التهام المزيد والمزيد من الارض .

ويتدخل في تقسيم الغنائم والاراضي فيعطي بعضهم ويحرم بعضهم وذلك كله حسب مزاج يشوع وحسب ما يميل به هواه (لكن لسبط لاوي لم يعط نصيباً وقائد الرب إله اسرائيل هي نصيبه كما كلّمه) (إنما اقسمها بالقرعة لإسرائيل ملكاً كما أمرتك)

إن رب اليهود كما يأتي في سفر يشوع إله حرب يدعو إلى الاستعمار والفتح ويقول إن الارض التي فتحها اليهود ملك له وحده ، وهو بذلك يرتكب في سبيل انتصار شعبه من ضروب الوحشية ألوانا بالغة العنف والقسوة إلى حدّ الظلم الرهيب .

وإضافة لكل قسوة هذا الرب فإنه يطلب بصريح العبارة أن يبني شعبه مدناً يلجأ إليها القتلة والسفاحون . وقد مرّ معنا سابقاً دعوته تلك وها هي تعود مرة أخرى فيقول : وكلم الرب يشوع قائلاً كلّم بني اسرائيل قائلاً اجعلوا لأنفسكم مدن الملجأ كما كلمتكم على يد موسى لكي يهرب إليها القاتل ضارب نفسٍ فتكون لكم ملجأ من ولي الدم .

وهذا يذكرنا بمقولة التوراة إن دم غير اليهود وأموالهم ونفوسهم حلٌ لليهود لا يحاسب الرب عليها . وعلى هذا المنطق صنعوا مقولة اليهود شعب الله المختار وما عدا اليهود (الغوييم) أقل قيمة من البشر ولا يحاسب الرب على قتلهم .

ويحلل رب اليهود لهم أن يستغلوا أراضي الشعوب دون أن يردعهم أحد ، يرعون فيها يستغلون خيراتها دون حساب لأن الرب هكذا قال لهم :

ففي الاصحاح 21 من سفر يشوع : قد أمر الرب على يد موسى أن تعطى مدنا للسكن مع مسارحها لبهائمنا فأعطى بنو اسرائيل اللاوين من نصيبهم حسب قول الرب هذه المدن مع مسارحها .

ويقسم الرب المدن بالعدد . ويمنحهم إياها وكأنها إقطاع له يغتصبها من شعوب أصيلة فيها ويعطيها لغزاة خاصين به .

فكان لبني هرون بالقرعة ثلاث عشرة مدينة ولبني قهات الباقين عشر مدن ولبني جر شون ثلاث عشرة مدينة ولبني حراري حسب عشائرهم اثنتا عشرة مدينة .

وهكذا يستمر الرب على يد يوشع توزيع مدن واقعية ووهمية على كل جماعة اليهود وعشائرهم . وكان لكل جماعة (خصصت لها مدن عديدة) مدينةٌ خاصة ملجأ للقاتل والفارٌ من وجه العدالة . ويجب على اليهود حمايته والدفاع عنه .

وأعطى الرب التوراتي الذي صنعوه جميع الارض التي أقسم أن يعطيها لآبائهم فامتلكوها وسكنوا بها فأراحهم الرب حواليهم حسب كل ما أقسم لآبائهم ولم يقف قدامهم رجل من جميع أعدائهم بأيديهم .

ولم يلبث بنو رأوبين أن انحازوا عن تعاليم رب اليهود وخانوه عندما بنوا لأنفسهم مذبحاً خاصاً بهم وهذا ما أدى إلى نزاع كبير بين اليهود أنفسهم أودى بحياة كثير منهم . وطبيعي أن يحدث هذا النزاع لأن الاكثرية الذين حصلوا على مكاسب في المدن والقرى التي احتلوها أخلصوا لربهم الذي وهبهم إياها بينما الذين لم يكسبوا مثل غيرهم تمردوا على الرب ورفضوا الانقياد لأوامر يشوع والمتسلطين من القبائل اليهودية الاخرى .

وتتحدد حدود الرب الجغرافية على قومه فعندما رفض بنو رأوبين الانصياع لأوامر اسرائيل وربهم قالوا : غدا يكلم بنوكم بنينا قائلين مالكم وللرب إله اسرائيل قد جعل الرب تخماً بيننا وبينكم . ليس لكم قسمٌ في الرب . تقسيم الارض بين الجماعات اليهودية المغتصبة يلحقه تقسيم في العبادة والعقائد . وحدود الرب تنتهي عند جماعة دون جماعة ، وليس لهذا الرب بعد ذلك سلطة على من خرج عن حدوده التي رسمها .

وهذا يعني أن الاقوام اليهودية راحت تنغلق على نفسها وتضع حدوداً لأراضيها ، وحدوداً لربها دائرة مكتملة من الانغلاق الديني والعنصري الرب وثني وليس رباً عالمياً واليهود ينغلقون بحدود ضيقة لأنهم يرون في أنفسهم شعباً خاصاً له ميزات خاصة يختلفون بعنصرهم ودينهم وربهم عن عناصر الشعوب وآلهتها ودياناتها .
وقبل أن يودع يشوع دنياه يوصي محاربية فيقول لهم لأن الرب إلهكم هو المحارب عنكم ويدرك يشوع أن اليهود الذين قادهم بالوعود وأشغلهم بالحروب والمجازر لابد أن يعودوا إلى عهدهم السابق بالعودة إلى ديانة المصريين أو التعلق بآلهة الكنعانيين وغيرهم ومن الطبيعي أن هؤلاء الذين شغلتهم الفتوحات الاغتصابية لا بد أنهم سيجدون فراغاً معتقدياً عندما يستريحون . ولأن طبيعتهم البدوية متقلّبة مثلما يتقلب المكان بهم فلا بد لهم من الالتفات إلى طبيعة الحياة الجديدة المفروضة عليهم .

فيحذرهم يشوع قبل أن يموت : (حتى لا تدخلوا إلى هؤلاء الشعوب أولئك الباقين معكم ولا تذكروا اسم آلهتهم ولا تحلفوا بها ولا تعبدوها ولا تسجدوا لها .

ويقول في الاصحاح الثالث والعشرين من هذا السفر (يشوع) : حينما تتعدّون عهدِ الرب إلهكم الذي أمركم به وتسيرون وتعبدون آلهة أخرى وتسجدون لها يحمى غضب الرب عليكم)

ويؤكد خطاب يشوع لليهود في آخر السفر أن جنوده ظلوا يحنون إلى عبادة آلهة أخرى غير الرب الذي عبده يشوع فيقول محذراً للمرة

الاخيرة قبل موته (فالآن انزعوا الآلهة الغريبة التي وسطكم)

وينتهي سفر يشوع ولا ينتهي الحديث عن الآلهة الوثنية التي تعلق بها اليهود ويتعلقون بها منذ وجودهم في مصر وخروجهم إلى سيناء ومن ثم احتلالهم لأرض كنعان العربية وبانتهاء هذا السفر ينتهي دور آخر من أدوار الديانة الوثنية لدى اليهود .

ويستقبلون ديانات وعقائد وثنية تتوضح بشكل أكبر في أسفارهم المقبلة بدءاً من سفر القضاة .

لقد جاء استقرار اليهود المؤقت في الاراضي التي احتلوها مفصحاً عن تعلقهم بالعقائد الجديدة التي فرضتها البيئة الزراعية الاستقرارية ، وباعتبار أنهم بدو متعطشون للدم والاحتلال فقد كان لزاما أن يكون إلههم في المرحلة العدوانية إلهاً عدوانياً متعطشاً للقتل والدم أمّا الآن فإن طبيعة الحياة التي يريدون التأقلم معها تفرض عليهم نمطاً جديداً من العقائد وعلى الغالب فإن الشعوب الكنعانية سوف تؤثر بمعتقداتها تأثيراً كبيراً عليهم وعلى عقائدهم .

والتحوّل العقائدي لدى اليهود لن يكون مفاجئاً بعد سفر يشوع فهي طبيعتهم التي جُبلوا عليها ولذلك لن يكون عجيباً تغيّرهم في كل يوم بل وفي كل ساعة فهم متقلبون وهذا ما تثبته كتاباتهم التوراتية ، من جهة وما تثبته الديانات الأخرى وقد جاء القرآن الكريم ليكون الشاهد الاهم والاصح على تقلب ديانتهم وعقائدهم ، وسنبحث ذلك في الصفحات القادمة .

6
سفر القضاة والتقلبات العقائدية السريعة لدى اليهود

● **سفر القضاة والتقلبات العقائدية السريعة لدى اليهود .**

باعتبار أن اليهود أخذوا بالاستقرار نوعاً ما فإنهم انتقلوا إلى بيئة زراعية كانت هي في الأصل بيئة الكنعانيين . وهذه البيئة الجديدة لا بد أن تغيّر تصوراتهم نحو الإله الجديد المناسب لوضعهم الجديد ، وضعهم الزراعي الذي طرأ .

تقول التوراة في سفر القضاة : (وبنو بنيامين لم يطردوا اليبوسيين سكان أورشليم فسكن اليبوسيون مع بني بنيامين) (ولم يطرد منسّى أهل بيت شان وقراها ولا أهل (تعنك) وقراها ولا سكان (دور) وقراها ولا سكان (يبلعام) ولا سكان (مجدو) وقراها) (وأفرايم لم يطرد الكنعانيين الساكنين في (جازر) (زبولون لم يطرد سكان (قطرون) ولا سكان (تهلول) (ولم يطرد أشير سكان (عكا) ولا سكان (صيدون) و(يحلب) و(أكزيب) و(حلبة) و(أفيق) و(رحوب) (ونفتالي لم يطرد سكان (بيت شمس) ولا سكان (بيت عناة) بل سكن في وسط الكنعانيين سكان الأرض) .

هذه هي النصوص التي تتحدث بصراحة عن بقاء سكان البلاد الاصليين في بلادهم تعطينا نتائج تتوافق تماماً مع ما ذكرته التوراة نفسها عن تغيّر عقائد اليهود وتحولهم السريع عن ديانة (يهوه) إلى ديانة الآلهة الكنعانية وغيرها .

ومنذ الاصحاح الثاني في هذا السفر يبدأ الرب تأنيبه لشعبه الخاص ؛ فيقول (ولم تسمعوا لصوتي لكن صوته يذهب أدراج الرياح حيث تقول التوراة الآية 11 من نفس الاصحاح والسفر وفعل بنو اسرائيل الشر في عيني الرب فعبدوا البعليم وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها) .

والبعليم جمع بعل وهو اسم يطلق على آلهة متعددة من آلهة الشعب الكنعاني وأهمها الإله (بعل) نفسه إله الزلازل والأمطار وإله الحرب وخليفة الإله الأكبر (إيل) الذي يعتبر نموذجاً للإله المحتجب . لم يقترب اليهود من عبادة (إيل) بل عبدوا (بعل) لأنه إله مجسّد وله عدة أشكال . فهناك (بعل ففور) (وبعل زبوب) وغيرهما . ولما كان الإله الوثني (بعل) هو إله الأمطار حسب الاساطير الكنعانية فإن حاجة اليهود لهذا الإله هي حاجة زراعية وهو إله زراعي يتناسب مع طبيعة البيئة الزراعية لدى الشعوب الأصلية التي تسكن فلسطين .

إضافة إلى ذلك فإن الاستقرار النسبي الذي شعر به اليهود جعلهم يعودون بالحنين للديانة المصرية التي حملوها معهم أو حملها أجدادهم عبر سيناء ، وكان لزاماً أن تظهر آثار تلك الديانة مختلطة بالديانات والعقائد الجديدة التي فتح اليهود عيونهم عليها . ولم يستطع

اليهود تحمل أعباء الديانة التي جاءهم بها موسى رغم أنها كانت لصالحهم في أكثر الاحيان . فكان لا بد أن يعودوا إلى الجذور متجاوزين عقائد موسى الصحراوية ومتجاوزين كثيراً من التعلق بـ (يهوه) ومنتقلين إلى ديانات وعقائد جديدة هي على الأغلب أنسب لهم حسب اعتقادهم وحسب تطور حياتهم الاجتماعية .

وتقول التوراة في سفر القضاة الاصحاح الثاني : (وتركوا الرب وعبدوا البعليم وعشتاروت وتقول : ولقضاتهم لم يسمعوا بل زنوا وراء آلهة أخرى وسجدوا لها حادوا سريعاً عن الطريق التي سار بها آباؤهم لسمع وصايا الرب ، ولم يفعلوا هكذا .

وعند موت القاضي كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم بالذهاب وراء آلهة أخرى ليعبدوها ويسجدوا لها) .

ما يؤكده هذا الاصحاح يدفعنا لدراسة الإله (بعل) والإلهة عشتاروت كي نعرف خصائص كل منهما ولماذا تعلق اليهود بعبادتهما وعبادة الآلهة الأقل شأناً في الميثولوجيا الكنعانية .

الإله بعل : يعتبر هذا الإله أهم الآلهة الكنعانية الوثنية بعد الإله إيل على الاطلاق ويرد اسمه على شكل آخر يدعى (حدد) وهو إله زراعي معروف حيث يسوق الغيوم والامطار والانهار ويرد أيضاً أنه إله الصواعق والبرق ويرد باسم (بعل تعفون) ويقال أن لبعل بناتٍ ثلاث هن روح الحصاد .

وحسب النصوص الاوغاريتية أن (بعل) إله عظيم القدرة وأحياناً يرد بأنه إله الشؤم كرسيّه فوق الغيوم وينتقل عادة في مركبته مما أعطاه لقب ممتطي الغيوم .

وتلذّ لهذا الإله أرزاء البشرية ، يحب العقاب وهو الذي يأمر بالأعاصير ولا يتردد في النيل من الناس بيديه حتى أنه لا يتردد في مصارعتهم .

لم يكن لبعل أتباع رسميّون في البداية ثم انتشرت عبادته وصار لها معابد . ولهذا الإله أتباع من خارج نطاق الشعب الكنعاني .

وزوجته تدعى عشتار (عشتاروت) . ويدعو بعل وعشتار للاباحية على عكس الإله إيل والإلهة الكنعانية عناة فهما يدعوان للمحبة وللحفاظ على الأسرة ويقفان في وجه الاباحية التي ينشرها بعل وزوجته عشتاروت ، وقد عمت عبادته لدى اليهود وانتشرت في كثير من البلاد ولذلك نرى له أسماء كثيرة وما ذلك إلا لأن كل أمة كانت تسميه باسم يتناسب مع معرفة أقوامها وكان الاسم من أسمائه يبتدىء ببعل وينتهي باسم البلاد أو المدينة الموجود فيها وأحياناً يبتدىء الاسم ببعل وتلحقه صفة من الصفات .

من ذلك نرى (بعل فغور) (بعل زبوب) (بعل بريث) والاخير هو الذي عبده الكنعانيون في نابلس وانتقلت عبادته الى اليهود هناك و(بعل تامار) أي إله التمور أو النخيل و(بعل جاد) و(بعل حاصور) و(بعل حرمون) أي إله جبل حرمون و(بعل صفون) أي إله الشمال و(بعل فراصيم) أي إله الانفجارات و(بعل هامون) أي إله الجمهور و(بعل معون) أي إله السكن .

وقد حصل صراع حضاري ديني بين أنصار الإله (إيل) وأنصار (بعل) وكان اليهود ممن تبعوا (بعل) لأنه يدعو إلى الاباحية وهو وثني

مجسد بينها (إيل) إله محتجب محب شفوق وهو حسب الميثولوجيا الكنعانية خالق السماوات والأرض . يدعو للحفاظ على قيم ومثل العائلة بعكس الإله بعل الداعي للإباحية وانقسام الألهة الكنعانية إلى مجموعتين الأولى تضم (إيل وعناة وعشيره) والثانية تضم (بعل وعشتار وجيش الابالسة) يعني تحديداً انقسام الفكر الديني نفسه وكانت المجموعة الاولى تعنى بأمرين رئيسيين : 1 ـ الفكرة التوحيدية 2 ـ الفكرة العائلية . أما بعل وعشتاروت فقد مثلا الإباحية بين الجنسين[1] .

وقد عبد اليهود الإله (بعل) دون الإله ـ إيل ـ بسبب رفضهم لأخلاق التوحيدية وحبهم للإباحية البعلية ولهذا وجدنا التوراة تورد حرفياً أن اليهود عبدوا البعل وآلهة أخرى وزنوا وراءها .

وتتعاقب عبادة الأوثان والآلهة الوثنية من الآباء اليهود إلى أبنائهم وتقول التوراة إن الابناء كانوا يفسدون أكثر من آبائهم في الذهاب وراء آلهة أخرى يسجدون لها ويعبدونها .

وكان ربهم الاول رب الجنود قد حرم عليهم الاختلاط بالشعوب لكن الشعوب كانت أقوى منهم وهذا طبيعي لأن المتخلف لا بد أن يتبع المتحضر .

تقول التوراة : (فسكن بنو إسرائيل في وسط الكنعانيين والحثيين والاموريين والفرزيين والحويّين واليبوسيين واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساءً وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم) .

---

1) انظر كتابنا الميثولوجيا الكنعانية والاغتصاب التوراتي دار الجليل عام 1988 دمشق .

وهذا الاختلاط العرقي كان لا بد أن يؤدي إلى الاختلاط الديني والعقائدي والضعيف لا بد أن يتبع القوي ، والمنفتح على الدنيا لا بد أن يجر إليه وإلى فكره المنغلق ، وهذا ما حدث لبني اسرائيل المنغلقين المتخلفين القادمين من الصحراء .

وبسبب رفض اليهود لفكرة التوحيد رفضاً شديداً وجدوا في اتباعهم الشعوب الأخرى مأمناً لهم وتحقيقاً لرغباتهم ونزواتهم فلم تقتصر عبادتهم على آلهة الشعوب الوثنية بل عبدوا الملوك أي ملوك تلك الشعوب .

تقول التوراة في سفر القضاة : فعبد بنو اسرائيل كوشان ورشعتايم ثماني سنين وتقول : فعبدوا عجلون ملك موآب ثماني عشرة سنة .

وكوشان اسم سامي ومعناه ذو الشرين وهو ملك آرام النهرين عبده بنو اسرائيل كما قلنا ثماني سنوات أما عَجلون ويعني مثل العجل فهو ملك موآب أعاد أريحا من أيدي اليهود وعبدوه ثمانية عشر عاماً وكان هذا الملك متحالفاً مع العمالقة والعمونيين .

وعبادة الاشخاص والملوك عادة متّبعة عند كثير من الشعوب السامية وقد سار فيها اليهود خوفاً من البطش أو طمعاً في تحقيق المآرب والغايات الدنيئة الوضِيعة وقد عبد اليهود السواري كما ذكرت التوراة والسارية علامة أو دليل منصوب على مكان مرتفع حتى يراه المسافرون ، وكانت السواري تنصب على الاماكن المرتفعة حتى يجتمع الناس حولها لعبادة البعل . وقد اعتاد بنو اسرائيل ولا سيما ملوكهم

إقامة تلك المرتفعات لعبادة الاصنام . وقد ذكرت هذه السواري في لوحات أوغاريت[2] .

وقد ورد في التوراة في سفر القضاة اصحاح 6 : (اهدم مذبح البعل لأبيك واقطع السارية التي عنده فقال أهل المدينة ليوآش اخرج أباك لكي يموت لأنه هدم مذبح البعل وقطع السارية التي عنده) .

وهذا يؤكد أن اليهود ثاروا على يوآش وأبيه الذي حاول أن يبعدهم عن عبادة البعل والسواري .

ويرد في نفس السفر الاصحاح 8 (وكان بعد موت جدعون أن بني اسرائيل رجعوا وزنوا وراء البعليم وجعلوا بعل بريث إلهاً لهم) .

وكما أوردنا سابقاً فإن الإله الصنم (بعل بريث) هو إله وثني كنعاني يعني (رب العهد) وهو الاسم الذي كان يُعبد به البعل في (نابلس) زمن القضاة وكان له هيكل هناك .

ويبدو أن عقدة الجنس والاباحية التي تمتع بها اليهود ارتبطت بتلك الديانة الوثنية فكثيراً ما يرد أنهم زنوا وراء البعل ووراء آلهة أخرى وهذا ما يؤكد أيضاً جنوح النفسية اليهودية نحو الرغبات الجسدية الجنسية وربطها بالعبادة والعقائد . وتتوسع عقائد اليهود الوثنية زمن القضاة فيتقلبون من آلهة إلى آلهة وبسرعة مذهلة .

تقول التوراة في السفر نفسه الاصحاح 10 : وعاد بنو اسرائيل يعملون الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم وعشتاروت وآلهة آرام

2) قاموس الكتاب المقدس ص 466 مكتبة مشعل بيروت عام 1981 طبعة ثانية .

وآلهة صيدون وآلهة مؤاب وإله بني عمون وآلهة الفلسطينيين .

ومن المعلوم أن آلهة هذه الشعوب تتشابه إلى حد بعيد وهي جميعها آلهة وثنية غير أن الذي يوقفنا هنا هو الانتشار العجيب للديانات تلك في أوساط اليهود فلو نظرنا إلى الواقع الجغرافي لصيدا وموآب وساحل فلسطين وعمّان لوجدنا أنها أماكن تتواجد فيها شعوب كثيرة وتحيط بفلسطين من كل الجوانب وهذا يعني أن الديانات الوثنية كانت تتقاذف اليهود من الشمال في صيدا إلى الجنوب في الاردن ومن الغرب في فلسطين إلى الشرق لدى الآراميين .

إن هذا يعني أنه لا يمضي يوم على اليهود إلا وينقلبون من ديانة شعب إلى ديانة شعب آخر وهذا تخبّط عجيب للعقائد اليهودية المتعددة الاشكال والمتعددة المنابع والمصادر .

إضافة لذلك فإن عبادتهم لإله الفلسطينيين يعني أنهم عبدوا آلهة قاسية شديدة البأس وكان على رأس تلك الآلهة الإله (داجون) الذي كان يُقدم له أضحيات بشرية ، ولا نستغرب إذا كان اليهود فعلاً قد قدموا لهذا الإله بعض أبنائهم قرابين وضحايا حتى يرضى عنهم شعبه .

إن العجيب في الأمر أن يدّعي اليهود أنهم أصحاب ديانة توحيدية ، ولو كان الأمر كذلك فأين انتشار هذه الديانة بين الشعوب ؟ الحقيقة أنهم لم يكونوا كذلك ومجريات الأحداث تدل على أن ديانتهم وثنية مثل سائر الشعوب التي سكنوا بين ظهرانيها وأخذوا عنها عقائدهم وديانتهم .

وكما قدمنا فإن اليهود قدموا نذراً من البشر وقد طالت هذه القرابين أبناءهم وبناتهم وقد ورد في سفر القضاة الاصحاح (11) أن يفتاح الجلعادي نذر نذراً إن هو غلب أعداءه سيقتل أول من يلاقيه أثناء عودته وتشاء الصدف أن ابنته الوحيدة كانت أول من صادفه وهي تدق على الطبل وتغني (وكان لما رآها أنه مزق ثيابه وقال آه يا بنتي قد أحزنتني حزناً لأني قد فتحت فمي إلى الرب ولا يمكنني الرجوع) .

(وكان عند نهاية الشهرين أنها رجعت إلى أبيها ففعل بها نذره الذي نذر فصارت عادة في اسرائيل) .

وهذا ما يذكرنا بعادة المصريين أيضاً عندما كانوا يقدمون كل عام فتاة جميلة قرباناً للنيل حتى لا يفيض ماؤه ويغضب على السكان ، غير أن تقديم الاضحيات البشرية للآلهة عادة كانت منتشرة لدى الفلسطينيين وغيرهم من الشعوب القديمة .

ويأتي في سفر القضاة الاصحاح الثامن عشر أن (ميخا) وهو أحد قضاة اسرائيل قد صنع تمثالين واحد من فضة والآخر من ذهب وعبدهما وقد جاء (فقال آلهتي التي عملت قد أخذتموها مع الكاهن) وجاء أيضاً (وأقام بنو دانٍ لأنفسهم التمثال المنحوت ووضعوا لأنفسهم تمثال ميخا المنحوت الذي عمله كل الأيام التي كان فيها بيت الله في شلوة) .

وهذا يعني أن بني دان وهم سبط أو قبيلة من قبائل اليهود صنعوا لأنفسهم عبادة خاصة عبادة وثنية طالما أن بيت ربهم الأول بعيد عنهم في قرية شلوة . وهذا يعني أيضاً أن اليهود عندما ينتقلون من

مكان إلى آخر يخترعون عبادة جديدة تنسخ العبادة السابقة .

وليست العبادة مقتصرة على القضايا التعبدية الالهية التي شملت أيضاً عادات وتقاليد وثنية كالتي نراها في سفر صموئيل الاصحاح الثاني حيث تقول التوراة (وكان بنو عالي بني بلّيعال لم يعرفوا الرب ولا حقَّ الكهنة من الشعب كلما ذبح رجل ذبيحة يجيء غلام الكاهن عند طبخ اللحم ومنشال ذو ثلاثة أسنان بيده فيضرب في المرحضة أو المرجل أو المقلى أو القدر كل ما يصعد به المنشل يأخذه الكاهن لنفسه هكذا كانوا يفعلون بجميع اسرائيل الآتين إلى هناك في شلوة) .

فالكهنة الذين هم مكلفون بحماية بيت الرب في شلوة استعبدوا اليهود باسم ربهم فكان كل من يريد تقديم ذبيحة قرباناً للرب يأتي الكاهن فيأخذها ، وهذا ما يذكرنا بدور الكهنة في تزييف مهمتهم باسم ربهم ، فهم يتسلطون على الناس ويسلبونهم أموالهم وأغنامهم بحجة أنها تقدمة لربهم ، وهذه العادة كانت متبعة لدى أكثر الديانات الوثنية حيث أن الكهنة يلعبون دور الطبقة المتسلطة على الناس والتي تسلبهم كثيراً من حقوقهم وكل ذلك باسم الرب الوثني الذي يظن الناس أنه يوعز إلى الكهنة ويوحي لهم بالقيام بتلك الأعمال الدنيئة والظالمة .

7
ماذا يشكل تابوت العهد لدى اليهود

وحين احتدم الصراع بين اليهود والفلسطينيين زمن صموئيل كان تابوت رب الجنود يفعل فعله في الحرب حتى أن أعداء اليهود اعترفوا بأن تدخل تابوت الرب سيقلب المعادلة وجاء في صموئيل الاصحاح الرابع (وعلموا أن تابوت الرب جاء إلى المحلّة فخاف الفلسطينيون لأنهم قالوا قد جاء الله إلى المحلّة وقالوا ويل لنا لأنه لم يكن مثل هذا منذ أمس ولا ما قبله ويل لنا من ينقذنا من يد هؤلاء الآلهة القادرين هؤلاء هم الآلهة الذين ضربوا مصر بجميع الضربات في البرية) .

فلنتصور هذا التناقض الصارخ ، أعداء اليهود يعترفون أنه إذا ما تدخلت آلهة يهود فإنهم سينكسرون ، وإذا كان صحيحاً ما جاءت به التوراة فهذا يعني أنه يجب أن يؤمن أعداء اليهود بآلهتهم ، ورغم هذا الخوف من آلهتهم فإنهم يغلبونهم ويأخذون تابوت الرب منهم إلى بلادهم حيث يمكث عندهم أكثر من سبعة أشهر حسب ما تقول التوراة .

● ماذا يشكل تابوت العهد لدى اليهود ؟

من الواضح أنه كان لتابوت العهد مرادف مزدوج في العقائد الوثنية اليهودية القديمة وأحد خيوط هذه العقائد يربطه بالتجول والتيه والمراحل الأولى من الاستيطان في أرض العرب الكنعانية ، والخيط الثاني يربطه بعادة النبي داود ومدينة القدس وقد ثبت بصورة ليس فيها شك على الاطلاق أن القبائل العربية البدوية اعتادت منذ قديم الازمان على نقل آلهتها القبلية ضمن صندوق خشبي خاص يوضع على ظهور الجمال . وبذلك يحتمل أن يكون لكل قبيلة صندوقها المقدس الخاص بها ، في مرحلةٍ مبكرة من الاستيطان حين كانت القبائل تنتقل بحرية . والمدقق في مهمة تابوت العهد لدى اليهود يجد أن هذا التابوت المحمول من الكهنة يقود مسيرة المحاربين اليهود نحو الاراضي المراد احتلالها أو نحو الشعوب لمحاربتها . ومن الواضح أن قصة تابوت العهد تأخذ أبعاداً أسطورية يراد منها تمجيد رب اسرائيل وتضخيم قداسة التابوت .

والغريب في أمر هؤلاء اليهود أن تابوت الرب بعد إعادته إلى بيت شمس التي يحتلها اليهود يُهمل ويتناساه الناس وتتناساه التوراة حتى يأتي داود لينظم عملية بحث متواصلة عنه فيُعثر عليه في (الوعر) أي في قرية يعاريم . ويعيده إلى مدينة أورشليم (القدس) بعد امتحان طويل لغضب الرب ورضاه على اليهود .

وما يلفت النظر في هذا الصدد هو أن النبي سليمان عندما طلب فتح هذا التابوت ليحصل على شريعة موسى لم يجدها وقد أقرت التوراة

أنها سرقت ، وظل اليهود تائهين بلا شريعة مدة خمس وعشرين سنة عندما قدم أحدهم وادعى أن الشريعة معه ويعلم الله أكانت حرفت الشريعة الأصلية أم أن الرجل اخترع شريعة جديدة وطرحها لدى اليهود وكهنتهم .

إن تابوت العهد الذي يشكل رمزاً من رموز الديانة الوثنية اليهودية أحيط بهالة من الاسطورية التي لا تبتعد كثيراً عن أساطير الشعوب البدوية القديمة . وحتى ظهور صموئيل كمصلح لليهود ظلوا متعلقين بعبادة الأصنام والأوثان التي أخذوها عن الشعوب المجاورة لاماكن احتلالهم فعندما بكى اليهود بسبب موت خمسين ألفٍ منهم لأنهم نظروا إلى تابوت الرب جاء صموئيل وطلب منهم العودة إلى عبادة ربهم الخاص والتخلص من عبادة غيره وقد جاء على لسانه (إن كنتم بكل قلوبكم راجعين إلى الرب فانزعوا الآلهة الغريبة والعشتاروت من وسطكم) .

ويبدو أن العبادات الوثنية لم ولن تزول حتى بوجود أنبيائهم ومصلحيهم وهذا برهان ثابت على أنهم يتقلبون من آلهة لأخرى حسب المصالح الخاصة بهم وحسب علاقاتهم مع الشعوب .

والرب الذي يحجم عن معاونة اليهود ويعود إلى نصرتهم آلاف المرات حسب ما جاء في التوراة يتقدم هذه المرة بشكل مخيف فيرعب الفلسطينيين فيخافون منه وينكسرون أمام اليهود . يقول الاصحاح 7 من سفر صموئيل (فأرعد الرب بصوت عظيم في ذلك اليوم على الفلسطينيين وأزعجهم فانكسروا أمام اسرائيل) .

إذاً فالحرب الدائرة بين يهود وأعدائهم كانت حرباً بين الآلهة القومية لكل شعب أو لكل جماعة وكلما أخلصت الجماعة لآلهتها كلما اخترعوا نصراً لهم على الاعداء وهكذا كان يجري مع اليهود طوال حياتهم .

ويطلب اليهود من صموئيل أن يرشح لهم رجلاً يكون ملكاً عليهم فيغار ربهم ويقول في الاصحاح الثامن من صموئيل (فقال الرب لصموئيل اسمع لصوت الشعب في كل ما يقولون لك لأنهم لم يرفضوك أنت بل إياي رفضوا حتى لا أملك عليهم) ويطلب الرب أن يتحدث صموئيل لليهود عن صفات هذا الملك . وإذا نظرنا إلى ما سيفعل هذا الملك نجد أن حديث صموئيل عبارة عن تعجيز وتهديد لليهود حتى يقلعوا عن طلبهم هذا فلننظر ماذا يقول (يأخذ بنيكم ويجعلهم لنفسه ، فيحرثون أمامه ويحصدون حصاده ويأخذ بناتكم عطارات وطباخات وخبازات ويأخذ حقولكم وكرومكم وزيتونكم أجودها ويعطيها لعبيده ، ويأخذ عبيدكم وجواريكم وشبانكم الحسان وحميركم ويستعملهم لشغله ، فتصرخون في ذلك اليوم من وجه ملككم الذي اخترتموه لأنفسكم فلا يستجيب لكم الرب في ذلك اليوم) .

ورغم كل ذلك فإن اليهود يأبون إلا أن يكون عليهم ملك مثلهم مثل سائر الشعوب (فنكون نحن أيضاً مثل سائر الشعوب ويقضي لنا ملكنا ويخرج أمامنا ويحارب حروبنا) . وهذا بالطبع ما يؤكد أن اليهود في ظروف معينة يرفضون حتى آلهتهم أن تقودهم ضد أعدائهم ، لأنهم رأوا في الشعوب ما هو على غير منهجهم ، وحتى

يجاروا تلك الشعوب ، ويماثلوهم طلبوا من صموئيل أن يعينّ ملكاً لهم يقودهم في الحروب مثل ما هو عليه سائر الشعوب .

ويبدو في هذه الحال أن اليهود استغنوا عن إلههم أو عن العون الذي كان يقدمه لهم ربهم في حربهم مع الشعوب . وإلا لما قال الرب (بل إياي رفضوا حتى لا أملك عليهم) .

ويؤكد صموئيل مرة أخرى أن اليهود رفضوا ربهم بقوله في الاصحاح العاشر (وأنتم قد رفضتم اليوم إلهكم الذي هو مخلصكم) .

وعلى الرغم من أن الرب اليهودي هو الذي اختار شاؤول ملكاً على اليهود فإنه سرعان ما يندم على هذا الاختيار . وهذا أمر طبيعي لأن صفات الرب في هذا الاطار لا تكون صفات الله العالم بما يحصل في المستقبل .

شاؤول يخون صموئيل ويخون تعاليم ربه ، والرب يندم على اختياره له ملكاً على اليهود . يأتي في الاصحاح 15 من سفر صموئيل (وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلاً ندمت على أني قد جعلت شاؤول ملكاً لأنه رجع من ورائي ولم يقم كلامي) .

ويلجأ شاؤول إلى السحر فيبحث عن السحرة والعرافات كي يكشفون له عن مستقبل صراعه ، وليس غريباً ، فإن العقائد الوثنية تختلط بعقائد السحر والشعوذة . يلجأ شاؤول إلى امرأة عرافة وحسب قول التوراة فإنها تستحضر روح صموئيل فيكلم شاؤول ويقول له إن الرب غاضب عليه وسينصر داود عليه ويأخذ منه الملك .

وينتهي دور صموئيل ودور شاؤول فيأتي دور داود من خلال

الحديث في صموئيل الثاني يأتي في هذا السفر الاصحاح 7 - وهو يبني لي بيتاً لاسمي وأنا أثبت كرسي مملكته إلى الأبد أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً) .

الرب يطلب من داود أن يبني له بيتاً مقابل أن يثبّت له ملكه . والعقد الذي يبرمه الرب مع داود يكون من خلال تبني الرب له وبنوّته للرب . وتظهر المقايضة بين داود والرب من خلال ما يقدمه الأول للآخر وما يقدمه الآخر للأول وقد جرت عادة الشعوب أن يُبنى معبدٌ لآلهتهم أو بيت توضع فيه إشارات للرب وربما أوثان تشير له .

ويقول العقد بين الرب وبين داود : أنت تبني لي بيتاً لسكناي لأني لم أسكن في بيت منذ يوم أصعدت بني اسرائيل من مصر إلى هذا اليوم بل كنت أسير في خيمة وفي مسكن ، لماذا لم تبنوا لي بيتاً من الأرز) .

وهذا الكلام الذي ورد في التوراة يدل على مدى محدودية هذا الرب ، وهذه المحدودية تدل على أنه إله خاص يريد له التوراتيون مثلما يريد أي شعب لآلهته فالرب يطلب بيتاً للسكن لأنه لم يسكن في بيت منذ الخروج من مصر . ولأنه ظل يمشي ويسير كأي وثن يُنقل من مكان إلى مكان يُحمل في خيمة وينقل عبر الصحراء زمناً طويلاً فهو يريد أن يستريح من مشقة السفر وعناء التنقّل . ثم يحدد هذا الرب نوع المواد التي سيبنى بيته منها فيقول لماذا لا يكون البيت من شجر الأرز وهذا يعني تماماً أن اليهود قد أخذوا عن الفينيقيين الكنعانيين بناء المعابد الوثنية من شجر الأرز اللبناني .

إن ذلك يبرز تأثّر اليهود كلياً بعقائد الوثنيين الذين جاوروهم وأخذوا عنهم تراثهم الديني وعقائدهم الوثنية . ولهذه إشارات واضحة في الميثولوجيا الكنعانية ، فبعل يطلب بناء معبد له ويُصنع هذا المعبد من شجر الأرز ثم يحاط بمواد بنائية أخرى ، تماماً مثلما يطلب الرب من داود أن يبني بيته الخاص به .

وانعكاساً لوثنية اليهود وعقائدهم السيئة فقد اغتصب الأخ أخته ، وقتل الاخ أخاه ، وثار الولد في وجه أبيه ، ثم اغتصب الابن زوجات أبيه أمام عيون الشعب أمنون وأبشالوم ابنا داود أحدهما يقتل الآخر والآخر يغتصب أخته المسماة (تامار) ثم يثور أبشالوم بوجه أبيه داود ثم يُقتل على يد رجال أبيه .

ولعلنا نسأل هنا أين الرب الإله في هذا السفر ؟ أين تعاليم الاخلاق والقيم والمثل التي نعرفها من خلال شريعة موسى الحقيقية وليست التوراة المزيفة ؟ أين ذلك الرب ليبسط أخلاقه على هذا الشعب الذي يحلل اغتصاب الاخت وقتل الأخ ثم اغتصاب زوجة الأب ؟ بالطبع إن هذا دليل آخر على فقدان اليهود لعقائد مستقرة ثابتة .

ويغضب ذلك الرب كعادته فيبعث ملاكه ، ويأخذ بالتدمير وما إن يرى هذا الرب مدى الدمار حتى يندم ويطلب من الملاك أن يكفّ يده عن تدمير شعبه .

تقول التوراة في سفر صموئيل 2 الاصحاح 24 ، وبسط الملاك يده على أورشليم ليهلكها فندم الرب عن الشر وقال للملاك المهلك

الشعب كفى الآن ردّ يدك) . هكذا يلعب اليهود بنوايا ربهم فتارة يجعلونه غاضباً مدمراً وتارة يصورونه أنه ندم على غضبه فيكفّ يده عنهم .

وحين نرى أن الإيعاز بتدمير المدن عادة جرى عليها رب اليهود (يهوه) منذ السفر الأول في التوراة . فإن ذلك يؤكد أن اليهود وبتأثير واضح من تراث الشعوب جعلوا مسألة التدمير عادة تغيب ثم تعود ، وهذا ما يؤكد عدم تخلصهم من تأثير عقائد الشعوب في عقائدهم .

إننا نتذكر اسطورة إفناء المدن أو البشرية في الميثولوجيا المصرية حيث يأمر الإله رع حاتور ابنته باقامة مذبحة للبشر وتدمير لمدنهم وقراهم ، ونرى أيضاً في الميثولوجيا الكنعانية ما يشابه ذلك أيضاً .

إن الأساطير القديمة تحفل بمثل هذا الرب الذي يدعو أتباعه لتدمير المدن والشعوب ثم يتوقف عن ذلك مشفقاً عليهم ونادماً على تدميرهم ، وهذا يتكرر في التوراة مراراً وما ذلك إلا ليقول اليهود إن ربهم لعبة في أيديهم يصنعون له نواياه ومقاصده حسب ظروفهم وحسب نواياهم ومقاصدهم هم ، وليس حسب ما تمليه عليه صفته كونه رباً عظيماً ذا إرادة مستقلة عن مخلوقاته .

إن ارتباط اليهود بتغيّر عقائدهم خاضع للظروف والاهواء التي عاشوها وتقلبوا معها وخاضع أيضاً لمدى الاستقرار في المكان أو عدمه ، وخاضع في النهاية للمزاجية اليهودية التي نفخت في ذاتها خاصيّة مختلفة عن البشر . لقد حاولوا مراراً أن يضفوا على ذلك الإله صفة الرب الخاص ولكنهم تعثروا من حيث أن هذا الرب عبارة عن خليط من التصورات البشرية اليهودية للإله .

أما عن بيت الرب الذي طلبه للسكن والاستقرار فإنه لا يستكمل إلا في زمن النبي سليمان فيأتي في سفر الملوك الأول الاصحاح الثامن : حينئذ تكلم سليمان قال الرب إنه يسكن في الضباب وإني قد بنيت كل بيت سكني مكاناً لسكناك إلى الأبد) .

وفي الحديث عن سليمان وما ورد في هذا السفر فإننا نجد أنفسنا أمام مسألتين هامتين الاولى أن قوله : (يسكن في الضباب) فهو مأخوذ من الاسطورة الكنعانية التي تقول عن بعل إنه يمتطي الضباب ويسكن فيه . وقد علقنا على ذلك سابقاً . وأما الجانب الآخر فهو ما يتعلق بالبيت الذي بناه سليمان سكناً للرب هو ما يطلق عليه اليهود (الهيكل) .

فهذا المعبد ـ الهيكل ـ الذي تعدّه اليهود ممثلاً لأوج عظمة سليمان هو من صنع الفينيقيين الصوريين (نسبة إلى مدينة صور) وقد بني على نمط المعابد الكنعانية ، كما أن قصر سليمان في (أورشليم) هو ايضاً من صنع الفينيقيين وحتى تسمية الهيكل هي مأخوذة من كلمة (هيكال) الكنعانية .

والوصف الذي جاءت به التوراة عن هيكل سليمان هو وصف لا يستند الى حقائق توراتية ولا علمية أثرية . ولما كانت التوراة قد كتبت زمن السبي البابلي فإن خيال اليهود وتصوراتهم المتأثرة كلياً بالبابليين وغيرهم هي التي صنعت هذا الهيكل على الشكل الذي نراه فيها .

وهذا الوصف للهيكل يأتي على طريقة كتابة الأساطير البابلية

والسومرية والكنعانية في وصف خوارق آلهتهم التي ألفوها ووقفوا عليها وكانت هي مستنداتهم ومصادرهم في كتابة التوراة .

وقد قال في ذلك العلامة (مند نهل) المكتشف للمخطوطات القديمة وهو من بريطانيا : منذ عدة سنوات وأنا متمسك بالرأي القائل إن مملكة داود وسليمان لم تكن إلا دولة وثنية على نمط الدول الوثنية في الشرق الادنى ، وقد انتهت بالفوضى والدمار لأنها كانت كسائر الدول الوثنية القديمة أكثر اهتماماً بالقوة والمجد من التصرف بشكل يستجيب لرفاهية المواطنين أو الدول المجاورة)[1] .

وعلى الرغم من ذلك كله فإن هذا المعبد ـ الهيكل ـ لم يكن لسكن الرب فعلياً أي أنه لم يكن لـ (يهوه) إله اليهود وحده بل ضم عدداً كبيراً من الآلهة إلى جانبه كل إلهة لها صنمها ولها من يقدسها ويعبدها .

وتقول التوراة زاعمة : في سفر الملوك الأول الاصحاح 11 وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب ، فذهب سليمان وراء عشتروت آلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين ، وحينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس المؤابيين على الجبل ولمولك رجس بني عمون وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كنّ يوقدن ويذبحن لآلهتهن) .

---

1) نقلاً عن العرب واليهود في التاريخ ، احمد سوسة ص 301 الطبعة الثانية دون تاريخ العربي للاعلان والنشر .

فرغم الصراع الذي دام طويلاً بين اليهود والشعوب صاحبة الأرض ظلوا يتمثلون آلهتهم ولم ينج النبي سليمان من تصورات اليهود حول عبادته لتلك الآلهة . لقد زعمت التوراة أن سليمان لكثرة نسائه المتنوعات وإرضاء لهن فقد جعل لكل واحدة آلهة تعبدها دون إلهه وهذه الآلهة كثيرة ومتعددة .

ويعلق الباحث (ويلز) في معالم تاريخ الانسانية جـ 3 ص 285 بقوله وأخذ سليمان يرفّه عن زوجاته الكثيرات بتقديم الضحايا لآلهتهن القومية) .

ويقول (ول ديورانت) في قصة الحضارة جزء 2 ص 337 ولما فرغ سليمان من إقامة ملكه شرع يستمتع به وأخذت عنايته بالدين تقل على مر الأيام ، كما أخذ يتردد على حريمه أكثر مما يتردد على الهيكل) .

ولنعد مرة أخرى إلى الحديث عن تلك الآلهة التي وضعها سليمان في الهيكل لنعرف مدى تمثّل اليهود لعقائد الشعوب الوثنية وتنوعها .

فعشتاروت هي الآلهة الرئيسية في كل من دولتي بابل وآشور الذين سموها عشتار وفي مدن الفينيقيين على سواحل فلسطين ولبنان وسوريا وهي إلهة واحدة في كل هذه المناطق إلا أن اسمها والقليل من طقوسها تختلف بين مكان وآخر اختلافاً سطحياً وهي ربة الأمومة وأم الربات وهي نفسها الإلهة ـ اينانة ـ عند السومريين . وكذلك سماها اليونانيون (استرتي) وكان لعشتار أساطير وتقاليد معروفة خاصة بها وكانت عبادتها تنطوي على الكثير من معالم الخلاعة وكانت كاهناتها

يتولين الدعارة رسمياً وكانت عشتار تعبد دوماً مع إله ذكر وهو البعل ورمزت هي والبعل إلى الشمس والقمر وقد عبدها اليهود أيام الملك سليمان الذي أدخل عبادتها متأثراً بطقوسها في صيدون .

أما الإله (مولك) وملكوم فهو إله للعمونيين يذبحون له ذبائح بشرية ولا سيما الاطفال وقد كان صنمه من نحاس ويجلس على عرش من نحاس وكان له رأس عجل عليه إكليل وكان العرش والصنم مجوفين وكانوا يشعلون في التجويف ناراً حامية جداً حتى إذا بلغت حرارة الذراعين إلى الحمرة وضعوا عليها الذبيحة فاحترقت عاجلاً وفي أثناء ذلك كانوا يدقون الطبول لمنع سماع صراخها ، وقد سقط اليهود مراراً في عبادة هذا الصنم ومارسوا عبادته هذه في (توخة) في وادي بني هنوم وفي أماكن أخرى . وظن بعضهم أن مولك وملكوم كراهة بني عمون مختلفان إذ يُقال عن الأول أن عبادته كانت في وادي هنوم وفي الثاني أنها كانت على جبل الزيتون ، غير أنه يظهر أن ملكوم رجس الموآبيين هو مولك رجس بني عمون ، ومما تقدم يستدل على امتداد عبادة هذا الصنم واستمرارها بين اليهود . ويظهر أن (مولك) كان ملك جهنم حسب رأي الكنعانيين الوثنيين .

والإله كموش لا يبتعد كثيراً بصفاته عن الإله مولك فقد كانت تقدم له ذبائح بشرية وطريقة عبادته تشبه إلى حد كبير عبادة الإله مولك . والذي أدخل عبادته هو الملك سليمان حسب قول التوراة . . ولعلنا نتساءل إذا كانت طقوس عبادة هذه الآلهة هكذا تتم . أي بالاباحية أولاً وبتقديم الاطفال ضحايا ثانياً فكيف كانت نساء سليمان

تفعل حينما عبدت هذه الآلهة وحينما سمح سليمان نفسه بعبادة مثل هذه الآلهة .

وحسب قول التوراة فإننا نرى أن طقوس هذه العبادات كانت تتم في الهيكل حيث يصبح في هذا التصور التوراتي معبداً للدعارة والاباحية ومكاناً لقتل الاطفال على مذبح مولك وكموش وغيرهما ، وهذا من أسوأ ما عرفته الديانات الوثنية في التاريخ .

وقد ذكرت التوراة أن سليمان نقض العهد مع الاله (يهوه) وأهمل وصاياه إذ ذهب وراء تلك الآلهة وبناء مرتفعات لها فغضب الرب عليه (وقال لسليمان من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها فإني أمزق المملكة عنك تمزيقاً) . وهذا ما جاء في سفر الملوك الاول الاصحاح 11 ـ 13 . وإلى هذا الحد نرى أن رب اليهود وحسب تصورات أتباعه غضب غضبته الكبرى ، فكيان اليهود سيُمزق ويُفتت جزاء لما اقترفه سليمان واليهود بحقه ، ومنذ موت سليمان تبدأ مرحلة جديدة من العقائد الوثنية لدى اليهود ، فهي تبرز بشكل كبير وغير مستقر مما سيجعلها عرضة للاستباحة القادمة من الشرق أيام السبي البابلي المشهور .

وقبل أن ننتقل إلى هذه الفترة أي فترة الانقسام لا بد أن نذكر هنا أن سليمان أراد أن يكشف عن توراة موسى التي زُعم أنها في تابوت الرب فإذا به لم يعثر عليها وقيل حسب رأي التوراة أنها سُرقت . وهذا ما يبرر أيضاً عدم تمسّك سليمان بها لأنه لا يعرفها .

إن التوراة حين تتحدث عن سليمان فإنها تحاول تشويهه كما

شوهت أباه النبي داود وإذا عدنا إلى حقيقة سليمان النبي في القرآن الكريم وجدناه يعارض بل يناقض التوراة ويدحض زعمها الذي تقول فيه عن كفر سليمان .

قال تعالى في سورة البقرة الآية 101 : **[واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا]** صدق الله العظيم .

ونحن حين نتناول الوثنية في الديانة اليهودية التوراتية فإننا نتناولها من خلال ما جاء في التوراة نفسها ذلك الكتاب الذي دوّن تراثاً عقائدياً وثنياً وقع فيه اليهود منذ بروزهم الأول في صحراء سيناء . معتمدين في تدوينهم على ما نقلوه من عقائد البابليين والآشوريين والفرس والكنعانيين. وعلى ما أوحت لهم متصوراتهم عن الجن وعالم السحر والخرافات التي اشتهر فيها الفرس المجوس .

(8)
عقائد اليهود الوثنية أيام انقسام المحتلين

● **عقائد اليهود الوثنية أيام انقسام المحتلين ، سفر الملوك الاول والثاني :**

لا شك أن انقسام اليهود لم يكن انقساماً عفوياً أو انقساماً سياسياً فحسب إنما كان انقساماً دينياً له جذوره وله آفاقه أيضاً .

فبعد موت النبي سليمان اختلف اليهود وانشقوا على أنفسهم ، ورأى المحتلون في الشمال (نابلس) أن داود وسليمان ووزراءهما ـ وكانوا يقيمون في الجنوب ـ لم يعاملوا الشماليين على أنهم منهم فقرروا إنشاء مملكة خاصة بهم .

وبعض المحللين يرون أن اليهود الشماليين تبنوا فكراً دينياً مختلفاً عن يهود الجنوب وذلك بسبب تأثير أهل السكان الاصليين في عقائدهم . . وبسبب التباين العقائدي بين المنقسمين حدثت بينهم حروب طاحنة استمرت قرابة المئة عام وأدت بالتالي إلى تدخل قوى أخرى في الصراع ، ولما وجد بعض الساميين من آشوريين وغيرهم أن اليهود يلعبون دور المتحالف مع الفراعنة في مصر فقد توجهوا إلى

فلسطين لانقاذها وإنقاذ شعبها الكنعاني من المحتلين اليهود .

وفي فترة الانقسام التي دامت عشرات السنين برزت عقائد اليهود الوثنية بشكل لم يسبق له مثيل . وقد جاء سفر الملوك حافلاً وبكل صراحة بما كانت عليه عقائد اليهود من وثنية .

فقد جاء في الملوك الاول الاصحاح 12 : (فاستثار الملك وعمل عجلي ذهب وقال لهم كثير عليكم أن تصعدوا إلى أورشليم هوذا الهتك يا اسرائيل الذين أصعدوك من أرض مصر ووضع واحداً في بيت إيل وجعل الآخر في دان ، وكان الشعب يذهبون إلى أمام أحدهما حتى إلى دان وبنى بيت المرتفعات وصيّر كهنة من أطراف الشعب . هكذا فعل في بيت إيل بذبحه للعجلين الذين عملهما) .

والذي صنع العجلين الذهبيين هو يربعام الذي ملك مملكة الشمال والمدقق في هذا التحوّل السريع يجد أن اليهود في الشمال أرادوا الانفصال كلياً عن يهود الجنود وديانتهم وبدا واضحاً أن العودة لعبادة العجل تدل على ترسّخ قوي لديانته في نفوس اليهود منذ وجودهم في سيناء ، ولا يغفل المرء عن أن عبادة العجلين الذهبيين عائد إلى تأثير قوي للعقائد السائدة في اليهود . والمرتفعات التي كان اليهود يحرقون عليها كانت تستخدم لحرق البشر أحياء أو أموات وذلك كقرابين لتلك الألهة الوثنية . وقد أوضحت التوراة في نفس السفر الاصحاح 14 أن يربعام قد خرج عن طريق إله اليهود وبكل قلبه (وعملت لنفسك آلهة أخرى ومسبوكات لتغيظني وقد طرحتني وراء ظهرك) .

أما يهودا أي مملكة الجنوب فقد جعلت التنافس على عبادة الاوثان شعاراً لها وقد قالت التوراة في ذلك في نفس السفر (وعمل

يهودا الشر في عيني الرب وأغاروه أكثر من جميع ما عمل آباؤهم بخطاياهم التي أخطأوا بها وبنوا لأنفسهم مرتفعات أيضاً وسواري على كل تل مرتفع ، ففعلوا حسب كل أرجاس الأمم) .

ويبدو أن يهودا أي مملكة الجنوب لم تكن أقل تعلقاً بالوثنية من مملكة الشمال وقد فقد اليهود هنا وهناك أية صلة بربهم السابق .
والواقع أن كل الضعفاء يقلدون غيرهم من الاقوياء والمتحضرين في عقائدهم وسياستهم وتعاملهم الاداري وغيره . واليهود بلغوا في هذه الفترة مبلغاً كبيراً من الضعف وهذا ما أدى إلى ضعف دياناتهم وعقائدهم وتقلبها ساعة بعد ساعة ، والتخبط السياسي والاجتماعي الذي يعيشه اليهود ينعكس بشكل قوي على الواقع العقائدي الديني وهذا الانعكاس يعني بالضرورة ضعفاً واضحاً في الثبات على عقيدة محددة .

وتتوال التقلبات الدينية على أيدي ملوك اليهود في كل من الشمال والجنوب وتقول التوراة في ذلك .
(في السنة الثامنة عشرة للملك يربعام بن نباط ملك أبيام على يهودا وسار في جميع خطايا أبيه التي عملها قبله ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه) .

وفي السنة العشرين ليربعام ملك آسا على يهودا ، حتى أن معكة أمه خنعها من أن تكون ملكة لأنها عملت تمثالاً لسارية وأما المرتفعات فلم تنزع ، وملك ناداب بن يربعام على اسرائيل وعمل الشر في عيني الرب وسار في طريق أبيه وفي خطيئته) .

وفي السنة الثالثة لآسا ملك بعشا بن أخيا على جميع اسرائيل وعمل الشر في عيني الرب) (وعمل عمري الشر في عيني الرب وأساء أكثر من جميع الذين قبله .

وملك آخاب بن عمري الشر في عيني الرب أكثر من جميع الذين قبله ، حتى اتخذ إيزابل ابنة أثبعل ملك الصيدونيين امرأة وسار وعبد البعل وسجد له وأقام مذبحاً للبعل في بيت البعل الذي بناه في السامرة وعمل آخاب سواري وزاد آخاب في العمل لإغاظة الرب إله اسرائيل أكثر من جميع ملوك اسرائيل الذين كانوا قبله والآن ارسل واجمع إليّ كل اسرائيل إلى جبل الكرمل وأنبياء البعل أربع المئة والخمسين وأنبياء السواري أربع المئة الذين يأكلون على مائدة إيزابيل .

فأرسلت إيزابل رسولاً إلى إيليا تقول هكذا تفعل الآلهة ، في هذا الاطار لا بد من التوقف عند شخصية آخاب بن عمري كونه يشكل بعقائده تحوّلاً مهماً في عقائد اليهود .

إن آخاب تزوج إيزابل وهي امرأة وثنية وهي بنت ملك صيدا الذي كان البعل الإله الأكبر لديه ولدى شعبه . وقد نفذ آخاب تعاليم الديانة البعلية هو وزوجته في نابلس وكثير من مناطق الاحتلال .

كنّا قد أوضحنا سابقاً ما هو الإله بعل وماذا يشكل بالنسبة للديانة الكنعانية ، وقد وجد آخاب بن عمري في سيره وراء عبادة البعل عوناً سياسياً وعسكرياً له من قبل ملك صيدا ضد مملكة الجنوب من اليهود المحتلين .

ويقول قاموس الكتاب المقدس عن ابن عمري : إنه ملك

اسرائيل وقد بدأ حكمه عام 875 ق.م . وتزوج من إيزابل التي كانت امرأة وثنية تعبد الإله بعل ، وكان زوجها آخاب ضعيف الارادة قليل العزيمة فأثرت عليه وانقاد وراءها في عبادة بعل . غير أن الحقيقة تقول إن آخاب رجل كان لديه الاستعداد التام لتبني ديانة البعل ومعاداة غيرها من الديانات .

وقد ورد في القرآن الكريم ما يؤكد عبادة اليهود وعلى رأسهم آخاب بن عمري للإله بعل فقد جاء في سورة الصافات : **[وإن إلياس لمن المرسلين ، إذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين ، الله ربكم ورب آبائكم الأوّلين فكذبوه فإنهم لمحضرون إلا عباد الله المخلصين]** .

وتقول المصادر التاريخية والدينية أن آخاب بنى على جبل الكرمل معبداً للإله بعل وقد تصدى له النبي إيليا (إلياس) ولكن آخاب لاحق النبي مما جعل إلياس يهرب من وجهه من بلد إلى بلد .

وقد ورد في التوراة أن من بقي على ديانة الرب بلغوا سبعة آلاف شخص من بين مئات الألوف من اليهود الذين عبدوا الأوثان ولاسيما الاله بعل .

(وقد أبقيت في اسرائيل سبعة آلاف كلُ الركب التي لم تجثُ للبعل وكل فم لم يقبله) ورغم أن التوراة تتحدث عن رجال الرب إلا أنها لا تُخرِج هذا الكلام عن مسألة التجسيد للرب والتجسيم له ؛ تقول : قد رأيت الرب جالساً علىٰ كرسيه وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وعن يساره) .

وقد جسد الكنعانيون الاله بعل ومعه جنود الابالسة عن يمينه وعن شماله وهذا ما ورد في نصوص أوغاريت وهذا أيضاً ما يدل على أن اليهود ظلوا يأخذون عن الكنعانيين عقائدهم إلى عهد قريب من وجود السيد المسيح .

ويلجأ اليهود إلى تلك الأوثان اعتقاداً بأنها تشفي من الامراض أو أنها تحل مشاكل الناس وقد ورد في سفر الملوك الثاني الاصحاح الأول : وسقط أخزيا من الكوة التي في عليته التي في السامرة فمرض وأرسل رسلاً وقال لهم اذهبوا اسألوا بعل زبوب إله عقرون إن كنت أبرأ من هذا المرض) .

وبعل زبوب يعني بعل الذباب أو بعل الاقذار وكان إله عقرون والارجح أنه كان إله الطب عند الكنعانيين وهو أكبر جميع آلهتهم ولذلك دعي رئيس الشياطين وقد ظن بعضهم أنه بعل المساكين لأنه رئيس الارواح النجسة التي تدخل بعض الناس وتسبب الجنون كالروح النجس .

وأخزيا ابن آخاب بن عمري وإيزابل وقد تبع أبويه في عبادة البعل وحكم اسرائيل بعد أبيه سنتين ثم قُتل .

ويتابع سفر الملوك الحديث عن عبادة اليهود للاصنام فتقول :

إن آخاب قد عبد البعل قليلاً وأما ياهو فإنه يعبده كثيراً ثم تقول : وعبدوا الأصنام وتركوا جميع وصايا الرب إلهم وعملوا لأنفسهم مسبوكات من عجلين وعملوا سواري وسجدوا لجميع جند السماء وعبدوا البعليم وعبّروا بنيهم وبناتهم في النار وعرفوا عرافة

وتفاءلوا وباعوا أنفسهم لعمل الشر في عيني الرب) .

وهذا النص يشير إلى أن اليهود تمثلوا عبادة الأوثان والاصنام وتمثلوا إلى جانبها كل ما يتعلق بالمعتقدات والاساطير . ومن هذه المعتقدات تقديسهم للنار وإدخالهم بناتهم وأبناءهم فيها للتقديس ثم أنهم راحوا يستخدمون العرافة والسحر المقتبسة من الشعوب الأخرى وصاروا يتطيرون ، يتفاءلون ويتشاءمون وهذا عائد إلى معتقدات الوثنيين التي كانت مترسخة لدى الشعوب القديمة جميعها ، وقد أدى تبني تلك المعتقدات إلى استقلال كل بلد أو قرية بوثنيتها الخاصة فقالت التوراةفكانت كل أمة تعمل آلهتها ووضعوها في بيوت المرتفعات التي عملها السامريون ، كل أمة في مدنها التي سكنت فيها) .

وهذا يعني تحديداً أن اليهود جميعهم وقعوا في العقائد الاقليمية الوثنية حتى على مستوى اقليمي ضيق جداً لا يتجاوز المدينة أو القرية . لقد افتقدوا إلى السلطة الدينية المركزية كما كانت مثلاً في زمن النبي داود والنبي سليمان . ولعل ذلك بالطبع بسبب التأثير الديني الكنعاني على اليهود حيث عُرف ومن خلال الديانة الكنعانية أن كل مدينة كنعانية كانت تدين بولائها لإلهها الخاص بها ومن المعروف أن الكنعانيين لم يشكلوا دولة موحدة ، بل كانوا يشكلون ممالك صغيرة مستقلة . وهذا ما كان له التأثير الكبير على اليهود الذين حاولوا اقتباس تراث الكنعانيين الديني والعقائدي وصبّه في توراتهم التي دُونت بعد هذه المرحلة أيْ في مرحلة السبي إلى آشور وبابل ، ومن التأثير الواضح في ديانات اليهود جعلهم الارباب يتقاسمون المناطق كل

حسب طبيعة شعبه . فعندما هاجم ملك آرام (بنهدد) اليهود (قالوا بين آلهتهم آلهة جبال لذلك قووا علينا ولكن إذا حاربناهم في السهل فإننا نقوى عليهم ،) بمعنى أن آلهة يهود آلهة سهلية وإذا حاربوا الآراميين في السهل سينتصرون عليهم ، وفي سفر الملوك الثاني تستمر التوراة بالحديث عن العقائد الوثنية التي تبناها ملوكهم وأمراؤهم .

(وملك يهورام بن آخاب على اسرائيل في السامرة وعمل الشر في عيني الرب ولكن ليس كأبيه وأمه فإنه أزال تمثال البعل الذي عمله أبوه إلا أنه لصق بخطايا يربعام بن ناباط الذي جعل اسرائيل يخطيء) .

وفي السنة الخامسة ليورام بن آخاب ملك اسرائيل وسار في طريق ملوك اسرائيل كما فعل بيت آخاب وعمل الشر في عيني الرب) .

وفي السنة الثانية عشرة ليورام بن آخاب ملك اسرائيل ملك أخزيا بن يهورام وسار في طريق بيت آخاب وعمل الشر في عيني الرب) .

وجاء أيضاً : (وقال ياهو قدسوا اعتكافاً للبعل فنادوا به وأرسل ياهو في كل اسرائيل فأتى جميع عبدة البعل فأخرج لهم ملابس ، ولم يبق أحد إلا أتى ودخلوا بيت البعل فامتلأ بيت البعل من جانب إلى جانب ، ولكن خطايا يربعام بن نباط الذي جعل اسرائيل يخطيء لم يحد ياهو عنها أي عجول الذهب التي في بيت إيل والتي في دان .

وياهو لم يتحفظ للسلوك في شريعة الرب إله اسرائيل من كل قلبه ولم يحد عن خطايا يربعام ويستمر ملوك اليهود في الاصحاح 13

و14 وغيرهما في السير على طريق آبائهم كما تقول التوراة في عبادة البعل وعمل الشر في عيني الرب ، وإقامة المرتفعات والذبح فوقها كما كان يفعل الوثنيون الكنعانيون .

ومنذ الاصحاح الخامس عشر في سفر الملوك يبدأ المد الآشوري باتجاه بلاد الشام وفلسطين تحديداً ، ونعتبر هذه الفترة حاسمة بالنسبة للعقائد الوثنية اليهودية حيث أنهم أخدوا يتعرفون على ديانة جديدة لا بد لهم من تفهّمها والانخراط فيها ، وفي بداية المد نجد أن اليهود لم يرحّلوا من مناطق احتلالهم في أرض فلسطين ولكنهم نفذوا مطالب ملك آشور الدينية وراحوا رويداً رويداً يتخلون عن بعض عقائدهم ليضعوا محلها عقائد الاشوريين .

تقول التوراة : وأرسل الملك آخاز إلى أوريا الكاهن شبه المذبح وشكله حسب صناعته فبنى أوريا الكاهن مذبحاً حسب كل ما أرسل آحاز من دمشق ، ومن أجل ملك آشور غير اليهود شكل معبدهم فأوقدوا فيه محرقة على الطريقة الاشورية ، وهدموا أجزاء منه كي يوافق ما أمر به الملك الوثني الآشوري وفي السنة التاسعة لهوشع أخذ ملك آشور السامرة وسبى اسرائيل إلى آشور وأسكنهم في حلح وخابور نهر جوزان وفي مدن ماري .

وترى التوراة أن بني اسرائيل أخطأوا) . للرب إلهم ، ثم عملوا سراً ضد الرب أموراً ليست بمستقيمة بنَوا لأنفسهم مرتفعات في جميع مدنهم وأقاموا لأنفسهم أنصاباً وسواري على كل تل عال وتحت كل شجرة خضراء وأقدموا هناك على جميع المرتفعات مثل الأمم

الذين ساقهم الرب من أمامهم وعملوا أموراً قبيحة لإغاظة الرب وعبدوا الاصنام ، ولم يسمعوا بل صلّبوا أقفيتهم كأقفية آبائهم الذين لم يؤمنوا بالرب . المهم . وعملوا لأنفسهم مسبوكات عجلين وعملوا سواري وسجدوا لجميع جند السماء وعبدوا البعل وعبروا بنيهم وبناتهم في النار .

فرذل الرب كل نسل اسرائيل وأذّلهم فسبى اسرائيل من أرضه إلى آشور إلى هذا اليوم) وقد فرض ملك آشور سنحاريب على اليهود الجزية من الذهب والفضة مما جعلهم ينزعون الذهب عن أعمدة المعبد ويقدمونها إلى ملك آشور تقول التوراة (فدفع حزقيا جميع الفضة الموجودة في بيت الرب وفي خزائن بين الملك . وفي ذلك الزمان قشّر حزقيا الذهب عن أبواب هيكل الرب والدعائم التي كان قد غشاها حزقيا ملك يهودا ودفعه لملك آشور) .

وهذا يعيد للذاكرة أن اليهود وتحت وطأة الذل مستعدون أن يخلعوا أي شيء مقدس وتقديمه لأعدائهم ومستعدون كما هو دوماً خلع ربهم نفسه وتبني إلهٍ آخر في سبيل مصلحتهم الذاتية وفي سبيل الحفاظ على مصالحهم ، ولعلنا الآن نقف أمام العقائد الجديدة التي تبناها اليهود بعد أن سباهم الاشوريون والبابليون فهي عقائد تستحق أن يتوقف عندها المرء ليرى كم كان اليهود متقلبين من ديانة إلى أخرى ومن معتقد إلى آخر .

(9)
عقائد اليهود الوثنية أيام السبي

● **عقائد اليهود الوثنية أيام السبي الأشوري والبابلي :**

رأينا في الصفحات السابقة أن اليهود بلغوا في وثنيتهم مبلغاً كبيراً أيام الانقسام ولعل ذلك جاء تمهيدا لقدوم الاشوريين ثم البابليين إلى فلسطين ومن ثم سبي اليهود إلى بلاد ما بين النهرين .

وفي هذا المجال لا بد لنا من التذكير بأن الفترة التي مكثها اليهود في تلك البلاد لم تكن فترة زمنية قليلة بل كانت طويلة تمتد عشرات السنين ويتغير فيها الحكم وينتقل من الاشوريين الى البابليين ثم إلى الفرس .

فقد كان الاشوريون أول من جرد حملة عسكرية على فلسطين واستطاعوا أن يقضوا على مملكة اسرائيل المحتلة وأن يسبوا اليهود إلى أماكن بعيدة . وقد قام الملك (تجلات بلاسر) بحملة على مملكة آرام فاستولى على عاصمتها دمشق سنة 732 ق.م ثم توجه الى فلسطين واستولى على كل أرض كان يحتلها اليهود وسبى اليهود تاركاً لهم مدينة السامرة . وفي عهد (شيلمنصر) الخامس جُردت حملة آشورية

وحاصرت مدينة السامرة. ثلاث سنوات وفي نهاية 722ق.م تم احتلال المدينة وذلك في عهد سرجون الثاني وبذلك تم القضاء على مملكة اسرائيل . ومن أهم حملات سنحاريب 705 ـ 681 ق .م حملته على مملكة يهودا التي بقيت بعد قضاء (شيلمنصر) الخامس وسرجون على اسرائيل تنتظر دورها وعلى الرغم من اسناد مصر ليهودا انتصر سنحاريب على قواتها واحتل مدن يهودا وحاصر أورشليم .

وقد لعبت سلالة بابل دورا مهما في القرن السادس ق .م لا سيما في احتلال سورية وفلسطين . فقد قام ملكهم المشهور (نبوخذ نصر) بحملتين ضد اليهود في مملكة يهودا وسبى اليهود مرة أخيرة إلى بابل وقامت الحملة الاولى عام 597 ق .م واستولى فيها على القدس ومعهم ملكهم (يهوياكين) وأهل بيته وأخذ نبوخذ نصر جميع خزائن ما يسمّى بيت الرب وخزائن بيت الملك وكسر كل آنية الذهب . ثم تبع ذلك السبي الاول السبي الثاني سنة 586 إذ جاء نبوخذ نصر بنفسه على رأس حملة قوية واحتل أورشليم فخربها وأحرقها وأحرق بيت الرب وبيت الملك وقد خمّن عدد الأسرى الذين سيقوا إلى بابل ليلتحقوا بالسبي الاول بحوالي 50 ألف شخص وظلوا مأسورين إلى أن ضعفت الدولة البابلية فحل محلها الفرس الاخمينيون الذين سمحوا لليهود أخيراً وعلى يد كورش أن يعودوا لاحتلال فلسطين أو التسرب إليها ، إن الذي يجعلنا نسرد هذه الوقائع هو التأكيد على أن حملات السبي المتتالية لليهود دامت حوالي مائتي عام . وهاتان المئتان من الاعوام كانتا كفيلتين بتغيير عقائد اليهود إلى عقائد تتناسب مع وضعهم الحالي أي وضعهم تحت ظل الحكم الاشوري البابلي الفارسي

ولا ننسى أن تدوين التوراة اليهودية تم في هذه الفترة وتتفق جميع المصادر التاريخية على ذلك إضافة لما قالته التوراة بهذا الشأن .

والآن وبعد إدراكنا للظروف التاريخية التي عاشها اليهود في تلك الفترة لا بد أن نؤكد أن العقائد اليهودية راحت تتغير وتتغير حسب الظرف الذي عاشه اليهود تحت ظل عقائد وثنية متنوعة .

إن التوراة التي دونها اليهود في بابل وقبلها في فلسطين لا تخرج عن نطاق الشرائع البدائية القديمة التي كان يعمل بها أقوام تلك العصور ، وقد اقتبسوها منهم وهي لا تصلح لغير تلك الازمان وتلك المجتمعات البدائية . ومما لا شك فيه أن مدوني التوراة الذين دونوا أكثر موادها في الاسر زمن البابليين كانوا محيطين بالمدونات القديمة التي كانت في متناول أيديهم وكانوا يحسنون جميع لهجاتها السامية ومن الثابت أنهم اقتبسوا الكثير من هذه المدونات التي تزخر بالعقائد الوثنية ، ودوّنوها في توراتهم .

وأول ما يطالعنا من عقائد اليهود الوثنية التي راحوا يتمثلون الفرس فيها عبادة الملوك والسجود لهم باعتبارهم أبناء الآلهة . وتطالعنا التوراة في هذا الوقت بحديث على لسان اليهودي المدعو (جدليا) الذي عينه البابليون ملكا على بقايا اليهود بعد السبي ليؤكد أنه طلب من اليهود عبادة ملك بابل ليلقوا خيراً في عينيه .

(وحلف جدليالهم ولرجالهم وقال لهم لا تخافوا من عبيد الكلدانيين . اسكنوا الأرض (وتعبدو المللك بابل فيكون لكم خير) .

هذا من جانب ومن جانب أهم كان لا بد لليهود من الانقلاب إلى الآلهة الاشورية والبابلية لأنهم وجدوا فيها الآلهة الأقوى والتي

تستحق حسب رأيهم أن تعبد وبسبب هذا السبي وبسبب هذه الحالة المتردّية التي وصل لها اليهود تردت لديهم صورة إلههم السياسية . لقد أصبح يؤرقهم التساؤل عن حقيقة منزلة إلههم بين آلهة الأمم التي يعيشون بين ظهرانيها إذ كان انتصار أمة في معاركها دليلاً على قوة بطش إلهها أو آلهتها القومية . لقد نظر اليهود للحرب بين الاشوريين وبينهم على أنّها حرب بين إله آشور وإله اليهود فلما أبادت أشور مواقعهم ترتب على ذلك نتيجة منطقية مؤداها أن إله آشور قد انتزع (يهوه) إله اسرائيل عن سلطانه ويقتضي هذا منطقياً أن ينصرف ولاء عباد الإله المهزوم إلى الولاء للإله المنتصر أو يجعلوا من إلههم القومي تابعاً خاضعاً للإله المنتصر مثلما أنهم خاضعون لعبادة المنتصرين بما يعنيه ذلك من الاقرار بسيادة إله الأمة المنتصرة .

ولا يستغرب والحالة هذه أن يقبل اليهود على عبادة الإله مردوخ (مردك) والإله (بعل) والإلهة عشتار ، ولا غرابة في ذلك لأن اليهود لهم سابق عهد ببعل وعشتار في بلاد الكنعانيين ، وجاءت سرعة تقبلهم لهذه العقائد الأشورية والبابلية دليلاً على الاستجابة النفسية لديهم .

لقد كان على اليهود أيام هذا السبي إما أن يهجروا عبادة إله أجدادهم وعقائده القومية بعد أن تداعى سلطانه كإله حربي. أو أن يسبغوا عليه صفات تجاوز كثيراً ما أضفاه عليه أسلاف اليهود المنهزمين .

لقد كان (يهوه) قبل النفي مجرد إله خاص باليهود وقد أضافوا إلى عبادته آلهة الكنعانيين والشعوب الأخرى ، ولم ينكر اليهود ذلك ولم تنكر التوراة وجود أرباب آخرين لكل ربٍ سلطانه السياسي الخاص

ولا يقل قوة في سلطانه عن قوة (يهوه) على اليهود ، ولما حاق الذل والهوان أوحى لهم أنبياؤهم أن انكارهم كان بسبب تخليهم عن (يهوة) وليس بسبب قوة آلهة الشعوب الآشورية والبابلية .

لقد امتد التأثر اليهودي بالبابليين إلى الطقوس والشعائر الدينية ولم يقتصر على تمثل آلهتهم والتعبد لها . ولقد أظهرت أبحاث الباحثين في السنوات الأخيرة بأن اليهود اعتادوا منذ مرحلة مبكرة للغاية إحياء احتفال السنة الجديدة الذي كان يحتفل به في مدن بلاد الرافدين منذ أقدم الأزمنة كانت إحدى سمات هذا المهرجان تتمثل في تتويج الملك ممثلاً للإله آشور أو مردوخ مترافقاً مع تمثيل انتصار الإله على (تعامت) وتلاوة ابتهال في مديح مردوخ بأسمائه الإلهية الخمسين . وكانت ملحمة الخلق تحتل مكانة خاصة في بابل خلال هذه الاحتفالات وكانت تنشد كتعويذة سحرية للقدرة على منح الحياة في نقطة معينة من الطُقس حيث يعود الإله إلى الحياة[1] .

وقد ألمحت الدراسات المعاصرة إلى أن احتفال السنة العبرية الجديدة يتقاسم بعض السمات مع الاحتفال البابلي وأن تتويج (يهوه) والاحتفال بأفعاله الخارقة شكلت السمة المركزية للطقس .

وقد ظهر (يهوة) في كثير من النصوص التوراتية بحالة غامضة . ولا سيما أن الكتّاب اليهود الذين دونوا التوراة أيام السبي واجهوا هذا الرب وهو يقف كالصخرة في وجه الخلفية القائمة لاتجاهات الشرك

---

(1) صموئل هنري هوك . منعطف المخيلة البشرية . دار الحوار اللاذقية ص 101 طبعة أولى عام 1983 .

المحيطة ويعكس الشخوص الباهتة للآلهة المصرية والبابلية والكنعانية ، لقد كان يهوه في كافة نصوص التوراة شخصا حقيقياً قائداً ومحارباً يعطي نموذجاً معيناً للإله الحربي الذي يقود شعبه في السلم والحرب ويوحي له أن يكتب التاريخ عنه وعن أفعاله .

لقد حمل اليهود في مخزونهم النفسي جميع عقائد الشعوب المتحضرة أو القوية واستطاعوا بشكل أو بآخر تمثلها مهما انتقلوا وكيفما توجهوا . حتى إذا ما جاء الفرس على أنقاض البابليين راح اليهود يتمثلون حكايات الجن والعفاريت والسحر التي كان يمتاز بها الفرس وتمتاز بها عقائدهم .

فعندما راحوا يدونون التوراة وقعوا تحت وطأة هذه الخرافات والحكايات وتحت وطأة السحر والشعوذة ونلمسها في كثير من نصوص التوراة لا سيما في سفر صموئيل حيث اعتمد شاؤول في حربه على السحر والعرافات ، وحيث قيل عن سليمان أنه استعان بالعفاريت والجن . وقد أوضح القرآن الكريم أن النبي سليمان لم يكفر بل الشياطين هم الذين كفروا بتعليمهم السحر للبشر . وهذا السحر لا يستخدم إلا في الضرر كتفرقة الزوج عن الزوجة وما يجلب الأمراض للناس .

إن ذلك نجده معتمداً بشكل واضح في العقائد الفارسية التي بدورها استفادت من الديانات الهندية القديمة وزادت عليها ما يتناسب وعقليتها وتجربتها العقائدية المكوّنة أساساً على اعتماد إلهين للكون أو أكثر .

(10)
البعث والنشور وعقائد اليهود

● **البعث والنشور وعقائد اليهود :**

المدقق في التوراة وكتب اليهود الدينية الأخرى لا يجد صدى للبعث والنشور فيها وهذا ما يجعل المرء يتوقف عند هذه العقيدة ليتفحص علاقة ذلك بديانات التوحيد وعلاقاتها الأخرى بعقائد الشعوب التي اقتبس منها اليهود وآمنوا بها .

وطالما أن تدوين التوراة قد تم في السبي البابلي فلا عجب أن نجد صدى عدم الايمان باليوم الآخر مبثوثاً في عقائد التوراة . وهذا الاعتقاد هو من صلب العقائد السومرية والبابلية . وتدل كافة النصوص السومرية والبابلية على أن هناك تشابهاً تاماً بين تلك النصوص وبين نصوص التوراة حول فكرة البعث والنشور في حياة أخرى بعد الموت ، فكلاهما ينكران البعث والقيامة . فقد وصف السومريون والبابليون العالم الآخر أنه عالم الظلام والرهبة وهو المكان الذي إذا ذهب إليه الانسان فلا خروج منه أبداً . وقد سماه السومريون

العالم السفلي الذي يحكم فيه الإله (نرجال) وينعتونه أحياناً بمدينة الأموات وقد سماه البابليون (أرالوا) والناس في هذا العالم كما ورد في ملحمة جلجامس متساوون وقد ورد وصف العالم الآخر في قصيدة تصف نزول الإلهة (عشتار) إلى هذا العالم في بداية الربيع من كل عام لتخرج زوجها (تموز) إلى الخضار والربيع فقيل إنه موضع مخيف مسوّر بسبعة أسوار ضخمة يحرس كلاً منها مردة الشياطين وتتولاه الإلهة (ايرشيكيكال) إلهة الظلام والموت ، وخلاصة ذلك أنه ليس في عقائد السومريين والبابليين ما يوعد به الانسان من آمال دينية جميلة بعد الموت ، وليس عندهم جنة أو نار أو نعيم وجحيم .

وإذا عدنا إلى التوراة فإننا نجد العالم الآخر كما هو عليه عند السومريين والبابليين ففي سفر التكوين يأتي عن الموت (إنه الهاوية التي إذا ذهب إليها الانسان لا يصعد) وفي عالم التوراة الآخر لا دار ثواب ولا عقاب ، فالعقاب زمني وكذلك الثواب يحاسب الانسان في دنياه وتسلط عليه النعمة أو النقمة في الدنيا فيمرض أو يعذب أو يؤسر أو ما شابه ذلك عقاباً له على ما ارتكب من آثام . وبعد الموت يذهب الانسان إلى دار الأموات وتقول التوراة (وفي الظلام يذهب واسمه يغطى في الظلام) وقد جاء ذلك في سفر الجامعة . وهذا هو نفس عالم الأموات عند السومريين والبابليين حيث يتساوى الجميع فيه وقد جاء ايضاً في سفر الجامعة (أليس إلى موضع واحد يذهب الجميع فكلمة التساوي هذه هي نفس التعبير الوارد في النص البابلي .

وقد سمت التوراة العالم السفلي البابلي والسومري باسم (سيلّاه)

وهذه اللفظة وردت أيضاً في الاسطورة الكنعانية حيث يقال إن الميت يذهب إلى عالم (الصل) وهو سم الحية . وقد سمته التوراة الهاوية التي إذا ذهب إليها الانسان لا يصعد وسمّته أيضاً الظلام وظل الموت وهو نفس كلام البابليين عالم الظلمة والرهبة وفي مكان آخر سمته الجب وأسافل الجب ووادي ظل الموت

وفي المعتقد الكنعاني تقول الاسطورة إن الميت يسكن تحت التراب في (ضنك الصل) وأعتقد أن كلمة (سلاه) العبرانية مأخوذة من (صل) الكنعانية لما فيهما من تشابه لغوي وتشابه في المعنى ، وليس غريباً طالما أن العقائد اليهودية جميعها مستقاة من عقائد أخرى لشعوب كثيرة كالكنعانية والبابلية والسومرية والفارسية .

وقد جاهر كهنة اليهود بنكران يوم البعث والعقاب والنشور ويذهبون إلى أن عقاب المذنبين والاحسان إلى المحسنين إنما يحصلان في حياتهم وليس بعد مماتهم وهؤلاء الكهنة هم الذين عُرفوا فيما بعد (بالصدوقين) .

ولعل سفر أيوب من أكثر أسفار التوراة إيراداً لعقيدة الموت دون بعث أو نشور فقد ورد كثير من الفقرات التي تدل على ذلك فيأتي في هذا السفر قوله :

(هكذا الذي ينزل إلى الهاوية لا يصعد لا يرجع بعدُ إلى بيته ولا يعرفه مكانه بعد) . ثم يقول (إلى أرض ظلمة وظل الموت أرض ظلام مثل دجى ظل الموت وبلا ترتيب وإشراقها كالدجى) .

ويقول (أما الرجل فيموت ، يبلى الانسان ـ يسلم الروح فأين هو والانسان يضطجع ولا يقوم) .

ويقول (ليتك تواريني في الهاوية)

ويقول : تهبط إلى مغاليق الهاوية إذ نرتاح معاً في التراب)

والنص الاخير يدلنا على مدى ما أخذه التوراتيون عن الكنعانيين إذ يرد في الأسطورة الكنعانية . أنه في عهد الملك الكبير : أن الانسان عندما يموت يذهب ليستريح قرب حبيبته (الأرض) حيث تتوقف روحه عن الضوضاء .

ولعلهم بسبب عدم إيمان اليهود باليوم الاخر قد اهتموا بأمور الحياة الدنيا اهتماماً بلغ حد العبودية ، فهم يرون في المال أعظم وسيلة وأكبر غاية في حياتهم ، ورأوا أن الانسان يجب أن يكون تعلقه في دنياه ، ولو كان لديهم إيمان باليوم الآخر لتغيرت عقائدهم كلياً وأعتقد انهم لم يعرفوا التعصب والتحجر والتقوقع إلا بسبب فقدان الايمان بالحساب الأخير حيث يُجازى الانسان على أعماله الخيرة والشريرة .

ومسألة الايمان باليوم الآخر ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالعقائد التي يتبناها الانسان فمدى تعلقه بها خوفاً أو أمناً يحدد له مسار معاملاته مع نفسه ومع الآخرين ومع ربه بالذات .

وأعتقد أن تعامل اليهود مع الآخرين ظل على نسق واحد منذ وجودهم الأول وحتى الآن ، تعامل سيّء ، تعصب وتكبر وعنصرية واضحة ، وهذا عائد إلى عدم الايمان بيوم حساب يحاسب الرب عباده على تعاملهم الدنيوي .

وأي انتصار يحققه اليهود مهما كانت أسبابه ومهما كانت نتائجه يعتبرونه نعمة من ربهم (يهوه) وجزاء لهم وأي انكسار لهم يعتبرونه جزاء لهم على ما فعلوا ، فالنعيم حسب عقائدهم نعيم الدنيا والجحيم كذلك هو جحيم الدنيا وليس للآخرة أي اعتبار لأن موت الانسان يعني فناءه نهائياً وتلاشيه في قلب الأرض .

(11)
التجديف على المعبود سمات العقيدة الوثنية اليهودية

● **التجديف على المعبود وخيانته وشتمه ، سمات العقيدة اليهودية الوثنية :**

إن طبيعة اليهودية التي اتخذت عقائد الشعوب دينا لها حتّمت على أتباعها التنقّل من عبادة إلى أخرى مما أظهر بالتالي لديهم إيجاد البديل الالهي من مرحلة لأخرى وهذا ما حتم عليهم أيضا التجديف على الآلهة السابقة وخيانتها كونهم وجدوا مصلحتهم في عبادة كل جديد والتقلّب ضد القديم ونبذه ورفض عبادته .

وقد نوهنا الى هذه الأمور في صفحات سابقة لكن الذي يعنينا هنا هو مناقشة ما ورد في سفر (أيوب) لأن كثيراً من الباحثين يعتبرونه من الأسفار الشعرية الأدبية الراقية لغةً ومضموناً . ولم بلتفتوا الى ما في هذا السفر من تشويه التوراة للنبي أيوب وما نُسب له من تجديف على الله وشتم له .

وفي هذا الإطار نستطيع القول إن ما ورد في هذا السفر من تجديف

وتحدٍّ للمعبود لا يخرج عن نطاق التصور الوثني اليهودي للإله .

وإذا ما أصر الباحثون أن صورة الله في هذا السفر هي صورة الله المحتجب خالق كل شيء وهو إله العالمين فإن ما جاء على لسان أيوب هو تأليف من قبل اليهود ليشوهوا صورته كما شوهوا من قبل النبي موسى والنبي داود والنبي سليمان ، ومنذ أول سطر في هذا السفر نلمس نموذج التأليف السافر بل المغرق بالوثنية . فجاء فيه : وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب وجاء الشيطان أيضاً في وسطهم فقال الرب للشيطان من أين جئت فأجاب الشيطان وقال : من الجولان في الأرض ، فنلمس هنا أن اليهود قد جعلوا لله أبناء إن كان ذلك على الحقيقة أو على المجاز وهذا يؤكد لنا أن كلمة أبناء الله تدل على جزء من عقائد الوثنية اليهودية ولعلنا نتذكر قول التوراة في سفر التكوين بأن أبناء الله رأوا بنات الناس حسناوات فراحوا يتزوجونهن وينجبون رجالاً عظاماً منهن .

والحوار الذي يدور بين الله والشيطان لا يدل إلا على حوار مجسد مشخص . ويشعر المرء أن هذا الإله ليس إلا زعيم قبيلة له أبناء يلتفون حوله ، وإلا لماذا يدخل الشيطان في وسطهم وكيف يدخل ؟ هل هذا الرب غافل عن رؤية دخول الشيطان إلى ملكه وعرشه وهل هناك بعدُ علاقة بين الرب والشيطان بعد اللعنة الأبدية التي لُعن فيها إبليس ؟

ويطلب الشيطان من الرب أن يمتحن أيوب فيستجيب له يقول له (ابسط يدك الآن ومسّ كل ما له فإنه في وجهك يجدف عليك) .

ويمتحن الرب أيوب فتسرق جماله وخرافه وممتلكاته ويموت أولاده كل ذلك ليثبت الشيطان للإله أن أيوب لن يصبر على امتحان الرب وكأن الرب لا يعلم الغيب ولا يدرك ماذا سيحدث مع أيوب .

وبعد الامتحان الاول يخاطب الرب الشيطان قائلاً : إلى الآن هو متمسك بكماله وقد هيّجتني عليه لأبتلعه بلا سبب) هذا قول الرب . المعنى أن الشيطان استطاع تهييج الرب حتى كاد الرب أن يبتلع أيوب . ونحن نتساءل ما هذا الرب وما طبيعته الغريبة حتى يستطيع شيطان أن يهيّجه وأن يرميه في عداء مع عباده وأنبيائه ؟

ثم يحاور الشيطانُ الله ويطلب منه أن يصب امتحانه على أيوب فيبتليه بجسده ولحمه فيقول : (ولكن ابسط يدك ومس عظمه ولحمه فإنه في وجهك يجدف عليك) وتقع المصيبة على أيوب فينهار إيمانه بربه حسب زعم التوراة ويبدأ من ساعتها بالتجديف على ربه في جميع الاصحاحات الموجودة في السفر .

يأتي في الاصحاح الرابع (هو ذا عبيده لا يأتمنهم وإلى ملائكته ينسب حماقة) وإذا لاحظنا قول التوراة إلى ملائكته ينسب حماقة . ومن المعروف حسب عقائد التوحيد أن الملائكة ينفذون ما يأمرهم الله ولا يخطئون لأنهم خلقوا ليكونوا أمناء على أحكام الله . إنهم يسبحون ربهم ولا يحيدون عن أوامره ، فلا حماقة يرتكبونها ولا الرب يخطيء أو تصيبه الحماقة فينسبها إلى ملائكته تخلصاً من خطئِه .

ويظهر القنوط واليأس في عقيدة أيوب حيث يقول : ادع الآن فهل من مجيب ؟ وإلى أي القديسين تلتفت) . فلا إيمان بالمجيب

ولا إيمان برسل الله الذين يصلحون الحال عند الناس .

وفي الاصحاح 6 يقول : من أجل ذلك ـ ألغا كلامي لأن سهام القدير فيَّ وحمتها شاربة روحي ، أهوال الله مصطفة ضدي) فالله هنا يصب كل سهامه ضد أيوب وأهواله يُحيطها به وضده وكأنه الله الرحمن الرحيم يتحول إلى منتقم أوجبار حاقد .

ويقول إن يرضي الله أن يسحقني ويطلق يده فيقطعني 1) يطلب أيوب من الله إن كان رباً حقيقياً أن يسحقه ويقطعه ويخلصه من هذا الداء الوباء . يطلب منه الموت (هكذا الذي ينزل إلى الهاوية لا يصعد ولا يرجع) . وحسب رأي التوراة فإن الموت نهاية الانسان ولا قيامة ولا نشور فلذلك تنفي التوراة عن نبي الله أيوب إيمانه بالنشور والحساب والعذاب وتجعله يطلب الفناء والموت نهايةً لهذه الآلام .

ثم يقول في الاصحاح 7 (أبحر أنا أم تنين حتى جعلت علي حارساً كفّ عنّي لأن أيامي نفخةٌ) وهذا يشير إلى أن أيوب يتضايق من الله إلى أقصى حد حتى إنه يطلب منه أن يكفّ يده عنه ويبعد تسلطه عنه أيضاً .

ثم يقول في الاصحاح 9 ـ (فكيف يتبرر الانسان عند الله إن شاء الله أن يحاجّه لا يجيبه عن واحد من ألف) ، وهذه أيضاً إشارة لعدم استجابة الله لعبيده وأنبيائه حسب ما تزعم التوراة على لسان أيوب ، فإذا أراد العبد أن يحاجج ربه لايجيبه هذا الرب ولو على واحد من الف مما يطلبه العبد .

ثم يقول : (الباسط السموات وحده والماشي على أعالي البحار هو ذا يمر علي ولا أراه فلا اشعر به)

في هذا النص عبارة صريحة عن وثنية التوراة ، فالله يتجسد كالإنسان يتمشى على أعالي البحار ، ويمر قرب أيوب فلا يشعر به ولايراه لا هذا يشعر بربه ولا الرب يشعر بعبده المتألم . فهذا الرب سادي يتلذذ بمصائب الآخرين ويفرح لعذاباتهم .

وفي الإصحاح 9 يقول : **(الله لايرد غضبه ينحني تحته أعوان رهب)**

فالله الغاضب دوما يجند اتباعه للرعب والرهب والخوف . أن أعوانه ينحنون خوفاً منه وينفذون رعبه ورعبهم على بني البشر . وهنا نجد أيضاً إلغاء صفات الله الرحيم عن الخالق .

ثم يقول : **(لو دعوت فاستجاب لي لما آمنت بأنه سمع صوتي ذاك الذي يسحقني بالعاصفة ويكثر جروحي بلاسبب اذا قتل السوط بغتة يستهزيء بتجربة الابرياء .)**

إذاً فصفة الله هنا أنه يكثر آلام البشر بلا سبب ويسحقهم بالعاصفة حباً بالقتل وبالتعذيب . ثم يقول مخاطباً ربه فهمني لماذا تخاصمني ، وهنا يضيق بأيوب الحال ويطلب من ربه أن يوضح له لماذا ابتلاه بهذا المرض ، لكن ربه لايجيبه بل يظل على تعذيبه له .

وفي الاصحاح ! : **(أحسنٌ عندك أن تظلم أن ترذل عمل يديك وتشرق على مشورة الأشرار .)**

وهنا تساؤل واضح من أيوب لربه يستنكر فيه عمل ربه حيث يعترف أنه خلق الانسان ليسعده فلماذا يشقيه ، ثم لماذا يستمع هذا الرب لمشورة الاشرار والشياطين ويتسلط على عباده ؟ هذا هو

منهج التجديف الذي صنعته التوراة على لسان ايوب وهذا مايذكرنا بالأسطورة الكنعانية التي تقول إن بعل يتلذذ بأرزاء البشرية حتى أنه يصارعهم وجهاً لوجه .

وفي الاصحاح نفسه 10 يقول متسائلاً : (**ألك عينا بشر أم كنظر الإنسان تنظر أيامك كأيام الإنسان أم سنوّك كأيام الرجل حتى تبحث عن إثمي وتفتش عن خطيئتي**) فلا يفتش عن الإثم أو عن الخطيئة الا البشر أما الله فيتنزه عن ذلك . وهذه الاشارة تؤكد اقتراب عقيدة أيوب من عقيدة الإنسان الوثني الذي يرى في ربه مثل ما يراه في البشر وهذا بالطبع ماتزعمه التوراة وتلصقه بأيوب .

ويظهر عدم إيمان أيوب باليوم الآخر في نفس الاصحاح حيث يقول (**إلى أرض ظلمة وظل الموت أرض ظلام مثل دجى ظل الموت وبلا ترتيب وإشراقها كالدجى**) وقد نوهنا لهذا النص أثناء حديثنا عن اليوم الآخر في عقائد اليهود .

وفي فقرات أخرى تظهر حدود الله في عقل أيوب فهو كما ورد في الإصحاح[11] أطول من الأرض طوله وأعرض من البحر .

ويتابع أيوب تجديفه على ربه فلا يرى فيه سوى صورة المدمّر المتلذذ بعذابات البشر (**هو ذا يهدم ولايبني يغلق على إنسان ولا يفتح**) ويقول مخاطباً ربه أترعب ورقة مندفعة وتطارد قشاً يابساً) .

وهذا الشعور الذي يسيطر على أيوب يدل على مدى الاحساس بأن الرب لئيم ظالم لايرحم وهو يتعقب الضعفاء ولايقدر على الأقوياء بل يتسلط على الناس بلا شفقة ولا هوادة . ثم يؤكد هذا السفر عدم

الإيمان بالنشور واليوم الآخر فالقبر هو الهاوية التي لا مخرج منها (أما الرجل فيموت ويبلى ، الانسان يسلم الروح ، فأين هو ، والإنسان يضطجع ولا يقوم) ثم ينادي ربه قائلاً (ليتك تواريني في الهاوية)

والحوار الذي يدور بين أيوب وبين (يلدد الشوحي) و (أليفاز الثيماني) وغيرهما ممن حاوروه بشأن بلاء الرب ومصائبه يظهر أيضاً أن امتحان الرب لبني البشر يقطع عليهم الرجاء و الرحمة لأن طبيعة هذا الرب حسب زعمهم لايأتمن ملائكته ولا قديسيه ولا رسله بل هو يشكك في كل من خلقه في السماوات والارض .

يقول : (وكذلك أنت تبيد رجاء الإنسان تتجبر عليه أبداً فيذهب ، هو ذا قديسوه لايأتمنهم والسموات غير طاهرةٍ بعينيه)

إن ذلك يذكرنا بصفات (يهوه) التي تمتاز بالخشونة والرعونة والقسوة والتشكك بكل شيء .

ثم يلقي أيوب التهم الكثيرة على ربه فهو برأي التوراة قد خرب كل بيته وجماعته ودفعه الى الظالم ، وفي أيدي الأشرار ، (فحطمني ونصبني له غرضاً سفك مرارتي على الأرض يعدو علي كجبار) (طرحني ، كنت مستديماً فزعزعني وأمسك بقفاي فحطمني) .

مرة اخرى ولاسيما في الفقرة الأخيرة نتذكر صفات الإله الكنعاني (بعل) الذي يتلذذ بآلام البشر ويصارعهم وهذا مايقودنا الى القول إن التوراة حتى في أسفارها الأخيرة والتي تعطي بعض الصفات الجديدة للإله لاتكاد تخرج عن تصور كهنتها وكتابها وتأثرهم بأساطير الشعوب القديمة وتراثها .

وحتى في أسلوب تعاليمه فهو يخاطب محاوريه قائلاً (فاعلموا إذاً أن الله عوّجني ولفّ علي أحبولته ، من هو القدير حتى نعبده ، وماذا نتفع إن التمسناه الله يُخزن إثمه لبنيه)

فنلاحظ من خلال ذلك اتهام أيوب لربه بأنه هو الذي عوّج عبده واحتال عليه حتى أوقعه بالمصيبة التي هو فيها ، ثم يتجاسر بقوله من هو هذا القدير حتى نعبده ، وكأنه يقول لنا ليس هناك قدير يستحق أن يُعبدولا ينفعنا لو التمسناه والتمسنا العفو والشفاء منه . . انه إله لشيء دون شيء فهو يُخزن أحابيل كثيرة ليوقع عباده فيها وينصب الشراك ليصطادهم .

وأخيراً يفتش أيوب عن ربه فلا يجده في أي مكان (هأنذا أذهب شرقاً فليس هناك وغرباً فلا أشعر به ، شمالاً حيث عمله فلا أجده يتعطف الجنوب فلا أراه)

فمن خلال هذا السفر الذي يفلسف قانون الخطيئة والعقاب نستطيع أن نرى المؤثرات الآرامية والكنعانية والبابلية حتى في صياغة هذه اللغة الأدبية الرفيعة .

لكن الذي يهمنا أن التوراتيين وتحت تأثير خارجي من العقائد أرادوا أن يبقوا الرب الإله في حدود الإمكان المجسد ، والذي تنطبق عليه صفات بشرية في جانبها السلبي ، فهو بذلك يعتبر امتداداً لهذه العقائد الوثنية التي لا تعطي الإله أي اعتبار سوى الاعتبار المصلحي .

(12)
الرؤى العقائدية الوثنية فيما بعد السبي
سفر إشعياء ـ سفر إرميا

● الرؤى العقائدية الوثنية فيما بعد السبي ، سفر إشعياء :

منذ سفر إشعياء وحتى آخر سفر في التوراة نجد أن أنبياء اليهود وفي كافة تعاليمهم كانوا حرباً على وثنية اليهود وتراجعهم الدائم المستمر عن عبادة إلههم . فالأنبياء يتناولون عقائد اليهود بالتجريح والتعنيف وهذا ما أدى إلى تآمر اليهود عليهم وقتلهم واحداً بعد الآخر .

ورغم ذلك فإن التوراة تورد على لسان هؤلاء الأنبياء كثيراً من التعاليم التي تشير إلى أنهم ما يزالون يصفون الله بصفات خاصة هي أقرب إلى صفات الآلهة الوثنية الاقليمية القومية .

ولعل التعنيف الصادر عن هؤلاء الأنبياء يُقصد من ورائه عودة اليهود إلى تعاليم ربهم بعد أن انساقوا بل غرقوا في عبادات وثنية كثيرة ومتنوعة ، ويبدو أن اليهود لم يعودوا رغم ذلك التعنيف بل حاربوا الأنبياء وقتلوهم بشكل مروّع لم يعرف تاريخ البشرية مثله .

على أية حال فالتعاليم الواردة في سفر أشعياء والأسفار التي تليه هي فضح لما صار عليه اليهود من اتّباعهم معتقدات وعقائد وثنية كثيرة ، بل إن هذه التعاليم تشير إلى أن اليهود رغم كل المصلحين الذين حاولوا إبعادهم عن ديانة الشعوب الاخرى ظلوا مخلصين لعقائدهم المصلحية ، وارتباطاتهم الوثنية مع الشعوب الاخرى .

جاء في سفر أشعياء الاصحاح الأول : (شعبي لا يفهم ، ويل للأمة الخاطئة ، الشعب الثقيل الاثم ، نسل فاعلي الشر أولاد مفسدين تركوا الرب استهانوا بقدوس اسرائيل ارتدوا إلى وراء ، علام تضربون بعد تزدادون زيغاناً ، كل الرأس مريض وكل القلب سقيم) (لولا أن رب الجنود أبقى لنا بقية صغيرة . .) ثم يقول (لذلك يقول السيد رب الجنود . .)

فمن خلال هذه الفقرات نرى أن أشعياء يلخص ما كان عليه اليهود من عقائد ويتحدث عن الجذور الخاطئة التي أنجبتهم ، وهو يرى أن اليهودي فسد من أوله لآخره من رأسه لأخمص قدميه فلذلك هو لن يكون صالحاً ولن يصلح بل سيظل على باطله وزيغانه .

ولكن التوراة تأبى إلا أن تطلق على الاله صفة (رب الجنود) . فلماذا لم تطلق عليه صفة رب السلام أو صفة رب الرحمة ؟ الواقع أنها تريد من ذلك إيقاظ الشعور القومي الحربي لدى اليهود كي يتذكروا ذلك الرب المحارب الذي كان يقاتل معهم في حروبهم ومجازرهم في فلسطين . إن إعادة التذكير برب الجنود من شأنه أن يثير تلك الفئة المحاربة التي لم تعرف في حياتها الاستقرار إلا من خلال الحرب ضد

الشعوب أو من خلال الخضوع والسبي وهذا مالاحظناه في تاريخ بني اسرائيل واليهود ومن ثم المتهوّدين الذين تبنوا هذه العقائد ليكونوا محاربين وليكون رب الحرب ورب الجنود متناسباً مع تطلعاتهم الحربية العسكرية . إن هذا التعلق المنسيّ لابد أن يثير اليهود ويستثيرهم للقفز مرة اخرى والتحفز والعدوان .

ومن خلال سفر أشعياء نرى وصفاً كاملاً لأخلاق اليهود المتدنية حتى الحضيض وهي بالطبع نتيجة حتمية لتبدل عقائدهم وتنقلهم من رب إلى رب ومن عادات شعب إلى عادات شعب آخر .

ففي الاصحاح الثالث يتعرض أشعياء لبنات اليهود ونسائهم فيقول على لسان ربه : **(وقال الرب من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الأعناق وغامزات بعيونهن وخاطرات في مشيهن ويخشخشن بأرجلهن يُصلِع السيد هامة بنات صهيون ويعري الرب عورتهن)** .

فالأخلاق السيئة التي انتهجتها بنات اليهود كانت مضايقة للرب لأنها شموخ وغرور وصيّادات من نوع رديء يستجلبن الرجال للزنى ويوقعنهم في حبائلهن ذات الغايات الوضيعة .

وتمتد تعاليم أشعياء التي لا تخلو من وثنية التوراة التي انتهجت طريقاً لم تحِدْ عنه فيقول في الاصحاح السادس **(رأيت السيد جالساً على كرسيٍّ عال ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل . السرافيم واقفون فوقه لكل واحد ستة أجنحة باثنين يغطي وجهه وباثنين يغطي رجليه وباثنين يطير)** .

ففي هذا النص يحدد أشعياء أنه رأى الله في رؤياه وهو يجلس على كرسي مرتفع ومن خلال الوصف نرى أن الله يلبس رداء كبيراً وله أذيال تملأ الهيكل ، والسرافيم وهي مخلوقات نارية أو نورانية مثل الملائكة يقفون فوق الله يغطون أرجلهم ووجوههم ولهم أجنحة متنوعة المهام . وهذه الرؤيا هي رؤيا تجسيدية للرب ، وهذا ما تحرص عليه التوراة دوماً حتى في التعاليم التي يطلقها الأنبياء والتي تحوي كثيراً من الفضائح والذم لليهود وعقائدهم .

وفي تعابير أخرى تُلصق بالرب صفات إنسانية ولا تتورع أن تكون هذه الصفات مدعاة للسخرية . فيأتي في الاصحاح السابع (ويكون في ذلك اليوم أن الرب يصفر للذباب الذي في أقصى ترع مصر وللنحل الذي في أرض آشور فتأتي وتحل جميعها في الأودية الخربة وفي شقوق الصخور).

ولا تخرج التوراة في هذا السفر عن تحديد مكانٍ للرب كما فعلت في الاسفار السابقة فيأتي قوله : (من عند رب الجنود الساكن في جبل صهيون)

ويُظهر أشعياء أن اليهود إذا ما جاعوا أو عطشوا فإنهم سرعان ما ينقلبون ضد ربهم فهم شعب أجوف لا عقيدة ترسخ في نفوسهم ولا رباً يُحترم في عقولهم وقلوبهم (يأتي في الاصحاح الثامن) : (حينما يجوعون أنهم يحنقون ويسبون ملكهم وإلههم ويلتفتون إلى فوق).

وفي الاصحاح العاشر يوضح أشعياء أن أماكن تواجد اليهود ليست بأحسن حالاً من بقية البلاد الوثنية فإذا ما حميَ غضب الرب

سينالها عقابه ويحطمها . (أليست السامرة مثل دمشق كما أصابت يدي ممالك الأوثان وأصنامها المنحوتة هي أكثر من التي لاورشليم وللسامرة أفليس كما صنعت بالسامرة وأوثانها أصنع بأورشليم وأصنامها) .

وفي الاصحاح الثالث عشر يتجسد الإله المحارب تجسيداً واضحاً . فيقول (أنا أوصيتُ مقدّسيّ ودعوت أبطالي لأجل غضبي مفتخري عظمتي . . رب الجنود يُعرض جيش الحرب) فالملاحظ في هذا النص أن أشعياء من خلال رؤيا رآها يقول إن الرب إله اسرائيل يدعو أبطاله المشتتين لأجل غضبه ثم يستعرضهم وهم على استعداد للقتال والحرب. وكأن تلك الرؤيا تعيد إلى اليهود بعض الذكرى ليسيروا وراء قائدهم الالهي إلى حرب جديدة مع الشعوب .

ويؤكد هذا المنحى في وصف رب الجنود ما جاء في الاصحاح التاسع عشر (وحيٌ من جهة مصر) (هوذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر فترتجف أوثان مصر من وجهه ويذوب قلب مصر داخلها) .

(وركوب الرب على سحابة) عبارة تتكرر في معظم عقائد التوراة وكما ورد سابقاً فإنها مأخوذة من أساطير الكنعانيين حول إلههم (بعل) المسمى (ممتطي السحاب) و(ممتطي الغيوم) وهي إشارة لدوره في إسقاط المطر على الكنعانيين.

ويتنبأ أشعياء بأنه في يوم قادم سيأتي الرب لينشر غضبه على الأرض ويستثني شعبه (لأنه هو ذا الرب يخرج من مكانه ليعاقب إثم سكان الأرض فيهم فتكشف الأرض دماءها ولا تغطي قتلاها في

ما بعد) (في ذلك اليوم يعاقب الرب بسيفه القاسي العظيم الشديد لوياثان الحيّة الهاربة لوياثان الحية المتحوية ويقتل التّنين الذي في البحر).

وفي هذا عودة لسفر التكوين الذي يقول بأن الرب عندما أراد أن يخلق السماء والأرض اعترضه التنين ذو الرؤوس السبعة فتصارع معه وقتله وأتيح للرب خلق الكون . وهنا في نبوءة أشعياء يرى أن يوماً ما سيأتي وينزل الرب يقاتل لوياثان ويقتل التنين الذي في البحر . لكنّ أشعياء لم يبين السبب في هذا القتال أو القتل . في المرة الاولى نرى التنين قوة هائلة تعترض مسيرة الخلق ثم يُقتل ولكنّ التنين هنا هو هارب وهارب من وجه من لا ندري ، ولا سبب يدعو الرب ليقتل التنين الهارب طالما أنه لا يشكل خطراً على مخلوقاته .

ويغضب من رب الجنود تحل المصائب على المدن والقرى ولكن هذا الغضب لا يكون سوى صدى لغضب الآلهة الوثنية التي رأيناها في الأساطير الوثنية الكنعانية وغيرها . (من قبل رب الجنود تفتقد برعدٍ وزلزلةٍ وصوت عظيم بزوبعة وعاصف ولهيب نار آكلة) وهذه جميعها وردت في الأساطير الكنعانية التي قدست بعل وناره الآكلة ورعده القاصف وزلزلته المدمرة .

ويبقى أشعياء حسب قول التوراة في ظل ما توارثه اليهود من أساطير الشعوب الأخرى حيث يجسد الرب بتفاصيل بشرية واضحة . يقول في الاصحاح 30 (هوذا اسم الرب يأتي من بعيد غضبه مشتعل ، والحريق عظيم ، شفتاه ممتلئتان سخطاً ولسانه كنار آكلة

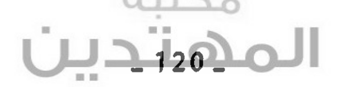
ونفخته كنهر غامر يبلغ إلى الرقبة) فلنتصور الآن الصورة المتخيلة الشفتان عظيمتان واللسان ينفث شرراً . ونفخته كالنهر الجارف ، أفليست هذه الصفات صفات الإله بعل ؟ أو صفات التنين الذي عرفناه في الأساطير والخرافات ؟ إنها هكذا ولا تبتعد كثيراً عن صفات الوحوش ، وإذا كان عبدها الانسان فإن ذلك بسبب خوفه منها وبطشها به .

ونرى غضب الرب يصل منتهاه فله سيف يقطر دماً ولا يرتوي (للرب سيف قد امتلأ دماً اطّلى بشحم ، بدم خراف وتيوس ، بشحم كلي كباش لا لأن للرب يوم انتقام سنة جزاءً من أجل دعوى صهيون).

وتظهر في أواخر سفر أشعياء دعوات ترى أن اليهود أولاد للرب ويطلب أشعياء من هذا الرب أن يشق السماء وينزل إلى الأرض ليرى الآثام ، ينزل ليشعل الأرض ويدمرها . (أين غيرتك ومجدك ، زفير أحشائك ومراحمك نحوي امتنعت فإنك أنت أبونا وإن لم يعرفنا إبراهيم وإن لم يدرنا إسرائيل أنت يا رب أبونا وليُّنا منذ الابد اسمك) (ليتك تشق السماوات وتنزل من حضرتك تتزلزل الجبال كما تشعل النار الهشيم وتجعل النارُ المياه تغلي).

وهذه المعتقدات نعثر عليها بشكل أو بأشكال كثيرة في أساطير الكنعانيين لاسيما في أساطير الإله الوثني (بعل).

وفي الاصحاح الأخير ـ السادس والستين ـ يختتم أشعياء وتختتم التوراة رؤيتها حول ذلك الاله فتقول (هكذا قال الرب . السموات



كرسيّ والارض موطىء قدميّ أين البيت الذي تبنون لي وأين مكان راحتي . . لأنه هو ذا الرب بالنار يأتي ومركباته كزوبعة ليرد بحموّ غضبه وزجره بلهيب نار . لأن الرب بالنار يعاقب وبسيفه على كل بشر ويكثر قتلى الرب».

إن هذه العبارات تلخص سفر أشعياء أو أنها تلخص صفات الرب الذي اختزنه التوراتيون . فهو رب له حدود جغرافية وإن كان كبيراً . ثم هو يريد بيتاً ليسكن فه ويرتاح ، وهو إله ناقم وله مركبات كالملوك . إذا غضب نزل إلى الأرض كالزوبعة وإذا حمي غضبه فإنه يصعق الأرض بالصاعقة النارية وطبيعة عقوبته تحدد النار وسيلة ، ومهما كثُر قتلاه الذين انحازوا عن طريقه فإنه لن يأبه ولن يتوقف عن مشروعه الدموي تجاه رافضيه .

إن سفر أشعياء يتراوح بين التهديد والوعيد والوعظ ولكنه لا يخلو من رؤية الكتّاب الذين وقعوا تحت تأثير الميثولوجيا البابلية والكنعانية والاشورية وغيرها إن حزقيال أو أشعياء أو إرميا ومن شابههم من الأنبياء لم يسلموا من زيف التوراة ولم يسلموا من تلبيسهم الاقوال والامثال والتعاليم . فلذلك تختلط رؤياهم ويختلط كلامهم وكل ذلك بسبب وضع التوراة من قبل كتبة اليهود حسب هواهم وحسب مؤثرات خارجية فيهم وحسب مصالحهم التي ينشدون تحقيقها في حاضرهم ومستقبلهم .

● التصور الإلهي في سفر إرميا :

الخيط نفسه الذي يلف دعوة التوراة لتمجيد بني اسرائيل وخصوصيتهم المزعومة يظل ممتداً في جميع أسفار التوراة . وفي سفر

إرميا يظل الرابط واحداً ، وهو الدعوة التوراتية المنطلقة أساساً من عنصرية العرق ، والمعتمدة على ذلك الحس الخاص بالتفوق وبعلاقة خاصة بالرب .

وعلى كل حال فإن إرميا النبي التوراتي يجاري أشعياء في نداءاته لليهود كي يتخلوا عن ابتعادهم عن الرب أو هي دعوات للعودة إلى ديانة رب اسرائيل والتخلي عن عبادة غيره من الآلهة .

في الاصحاح الثاني يأتي من هذا السفر قول : **(هكذا قال الرب ماذا وجد فيّ آباؤكم من جور حتى ابتعدوا عني وساروا وراء الباطل وصاروا باطلاً ولَمْ يقولون أين هو الربُ الذي أصعدنا من أرض مصر الذي سار بنا في أرض البرية . وأتيتُ بكم إلى أرض بساتين لتأكلوا ثمرها وخيرها فأتيتم وبخستم أرضي . الكهنة لم يقولوا أين هو الرب وأهل الشريعة لم يعرفوني ، والرعاة عصوا عليّ والأنبياء تنبأوا ببعل وذهبوا وراء مالا ينفع)**.

فواضح من خلال هذا النص أن التوراة تركز على ربط الخيط التاريخي بالاسطورة التي قالت بوعد الرب لهم بامتلاك الارض المقدسة . . من بداية النص يطرح الرب تساؤلاً عن طريق إرميا ماذا وجد اليهود فيّ من جور حتى يتركوني . لقد ابتعدوا عنه وساروا وراء الباطل بل صار اليهود أنفسهم باطلاً ، إن اليهود وهشاشة إيمانهم بهذا الرب جعلتهم يتساءلون أين هو هذا الرب الذي أخرجنا من مصر ؟ ونسوا أن هذا الرب حسب ما تقول التوراة هو الذي أخرجهم من الظلم عبر سيناء إلى أرض الكنعانيين ذات الخضرة والثمار .

ويستوقفنا في هذا النص قول الرب فأتيتم ونجستم أرضي . فالأرض أرض الرب خاصة به وهي مباركة لأنها له وليس لليهود علاقة وراثية أو تملكية بهذه الارض بل إن النص يقول على لسان الرب لقد نجستم هذه الأرض التي باركها الرب وخصها له . ويوضح النص أن الكهنة نسوا ربهم والذين اختصوا بالشريعة لم يعرفوه . والملوك والحكام عصوا ربهم وأقاموا الظلم وحرفوا العقائد كلها وحتى الأنبياء فقد تركوا الرب وتنبأوا بالإله الكنعاني الوثني بعل .

إذاً فكل شيء لدى اليهود تغير . الشريعة ، والقائمون عليها والمفسرون لها ، والحكام والأنبياء والكهنة ، وبدل عبادة إلههم عبدوا البعل ونجّسوا الارض التي أكلوا منها الثمر والخيرات .

ويترك هذا السفر بصمات واضحة في عقائد اليهود الوثنية . فعلى لسان أرميا يقول (كخزي السارق إذا وجد هكذا خزي بيت اسرائيل هم وملوكهم ورؤساؤهم وأنبياؤهم قائلين للعود أنت أبي وللحجر أنت ولدتني لأنهم حوّلوا نحوي القفا لا الوجه . وفي وقت بليّتهم يقولون قم وخلصنا ، فأين آلهتك التي صنعت لنفسك).

وأكثر ما يوضح هذا النص تحوّل كافة أبناء اليهود عن الرب واتباعهم عقائد الشعوب الاخرى . وقد وصل بهم الحد إلى عبادة عود الشجر وعبادة الحجر الوثن . وأداروا لذلك الرب أدبارهم . وعندما تحل المصائب عليهم ينادون (خلّصنا أيها الرب) فيقول لهم (ادعوا آلهتكم حتى تخلصكم).

و(لأنه على عدد مدنك صارت آلهتك يا يهودا) ولذلك علمت

الشريرات أيضاً طرقك أيضاً في أذيالك وُجد دم نفوس المساكين الازكياء).

ويقول الرب في الاصحاح الثالث مخاطباً اسرائيل (أما أنت فقد زنيتِ بأصحاب كثيرين ارفعي عينيك إلى الهضاب وانظري أين لم تضاجعي، في الطرقات جلستِ لهم كأعرابي في البرية ونجست الارض بزناك، وجبهة امرأة زانية كانت لك).

يؤكد ارميا أنه فعلاً صارت آلهة اليهود على عدد المدن والقرى التي يحتلونها ويعيشون فيها وهذا ما يدل على مدى تفسخ العقائد الوثنية اليهودية أو انتشارها وتنوعها، ويؤكد أنهم لم يقتصروا على أنفسهم بل علموا الاشرار طرقهم في عبادة الأوثان وفي الزنى والموبقات. ويؤكد أيضاً ان اليهود ونساء اليهود تحديداً لم يتركوا أرضاً إلا وزنوا فيها ونجسوا الأرض وأساليب جلبهم وجلب نسائهم للزانين كُثرت حتى قعدت النساء على الطرقات يستجدين الزنى والموبقات. ولكثرة استفحال هذه الظاهرة السيئة اصبحت وصمةَ عار على جبهة كل يهودي.

وإذا كانت التوراة هي التي تقول هذا الكلام فلا عجب أن يؤكد الباحثون أن أول من امتهن ممارسة الزنى والفحشاء هم نساء اليهود. ولا عجب أن يؤكدوا أن أبناءهم ليسوا أبناء حلال بل هم جميعاً جاؤوا سفاحاً لكثرة ما زنت نساؤهم، وهذا أيضاً ما يؤكد عدم وحدة العرق اليهودي المزعوم. إنهم خليط من البشر، من الكنعانيين والبابليين والفرس والمصريين والحثيين وغيرهم.

ولنلاحظ مرة اخرى ماذا جاء على لسان الرب في الاصحاح الثالث (هل رأيت ما فعلت العاصية اسرائيل انطلقت الى كل جبل عال والى كل شجرة خضراء وزنت هنا فقلت بعدما فعلت كل هذه ارجعي إليّ فلم ترجع فرأت أختها الخائنة يهودا فرأيت أنه لأجل كل الاسباب اذا زنت العاصية اسرائيل فطلّقتها وأعطيتها كتاب طلاقها لم تخف الخائنة يهودا أختها بل مضت وزنت هي أيضاً ، وكان من هوان زناها أنها نجّست الارض وزنت مع الحجر ومع الشجر).

وهذا النص يؤكد تفصيلياً أن اليهود في كل مكان من أماكنهم خانوا ربهم خيانة كبرى دائمة بدأت الخيانة دولة (اسرائيل) ثم تبعتها دولة يهودا ، ولأن هاتين الدويلتين قامتا على الاغتصاب والعدوان ولأن سكانهما من اليهود لم يحملوا يوماً نوعاً من الاصالة العقائدية والدينية فإنهما انشقتا عن منبع ربهما وأباح شعباهما الزنى والحرام وكل ما من شأنه ان يجعلهم في صف المتطرفين والمغالين من الناس في عبادة الاوثان وتطبيق أسوأ أنواع الاخلاق بل والعمل بكل جهد لنشر هذه الغرائز الحيوانية بين الناس . وهذا هو دورهم المعروف عبر سلسلة أزمان التاريخ التي تواجدوا فيها .

ويؤكد هذا السفر أن اليهود وراء المال سعوا وعبدوه بدل إلههم بل إن كهنتهم وأنبياءهم قادوهم نحو المال ورب المال . (لأنهم من صغيرهم إلى كبيرهم كل واحد مولع بالربح ، ومن النبي الى الكاهن كل واحد يعمل بالكذب).

ومرة اخرى يوضح الاصحاح السابع طبيعة العقائد اليهودية

وأخلاقهم التي فصلها الرب على لسان نبيّه إرميا (أتسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون كذباً وتبخّرون للبعل وتسيرون وراء آلهة اخرى لم تعرفوها).

فعبادة الاوثان والاصنام والآلهة الأخرى لم تكن دون أن تلحقها معتقدات فاسدة فهذه المعتقدات مرتبطة بطقوسها وقد طبقها اليهود عبادةً ومعتقداتٍ وعاداتٍ فهم يسرقون ويقتلون بغير حق ويزنون ويحلفون زوراً ويقدمون الاضاحي للصنم (بعل) ويسيرون وراء آلهة اخرى .

إن جميع طقوس عبادة الاصنام وجميع طقوس الاباحية والإفساد بشتى أشكاله لهي من أكثر ما تعلق به اليهود ومن أكثر ما طبقوه على أرض الواقع .

ويقول في الاصحاح السابق (أما ترى ماذا يعملون في مدن يهودا وفي شوارع أورشليم الأبناء يلتقطون حطباً والآباء يوقدون النار والنساء يعجنّ العجين ليصنعن كعكاً لملكة السموات ولسكب سكائب لآلهة اخرى لكي يغيظوني).

لقد لفّت العقائد الوثنية كل اليهود فالأطفال والرجال والنساء جميعاً يشتركون من أجل التقدمات لآلهة اخرى ثم يصنعون من سكائب النحاس والذهب والفضة آلهة اخرى ، ويقدمون الذبائح ودماءها قرابين لترضى الآلهة الوثنية عنهم . وكل ذلك من أجل إغاظة ربهم الذي سار معهم في بداية وجودهم نحو الاحتلال ، والاغتصاب عبر سيناء .

ومن خلال الاصحاح السابع تظهر عبادة الآباء والاجداد لدى إليهود وهذه العقائد قد أخذت من شعوب قديمة كانت تقوم بهذه العبادات وقد اعتنقها اليهود في كثير من مراحل حياتهم (يخرجون عظام ملوك يهودا وعظام رؤسائه وعظام الكهنة وعظام الأنبياء وعظام سكان أورشليم من قبورهم ويبسطونها للشمس وللقمر ولكل جنود السموات التي أحبوها والتي عبدوها والتي ساروا وراءها والتي استشاروها والتي سجدوا لها).

والغريب في الامر أن هذا السفر ـ إرميا ـ ومن خلال الاصحاح الثامن يقرّ بأن كتابة الشريعة تم تحريفها فيقول : (كيف تقولون نحن حكماء ، وشريعة الرب معنا ، حقاً إنه إلى الكذب حوّلها قلم الكتبة الكاذبُ ، خَزِيَ الحكماءُ ارتاعوا أُخِذوا بها قد رفضوا كلمة الرب فأية حكمة لهم).

ورغم ما حُرف فيه من قبل كتبة التوراة إلا أن جميع المصادر الدينية حتى الكهنوتية تقر بأن اليهود عذبوا إرميا ورفضوا كل تعاليمه وضايقوه طوال حياته ولعل أكبر شاهد على ذلك ما جاء في قاموس الكتاب المقدس : في ترجمته لإرميا وسفره ومراثيه .

(13)
شهادة قاموس الكتاب المقدس في رفض اليهود لارميا وبقائهم على عقائدهم الوثنية :

يعتبر إرميا من الانبياء الكبار الذين كُلفوا بردع اليهود عن عباداتهم الوثنية وقد بدأ عمله النبوي في زمن الملك اليهودي يوشيا وزمن الملوك الذين أتوا بعده أمثال يواحاز ويهوياقيم وجملة خدمته إحدى وأربعين سنة .

ويذكر قاموس الكتاب المقدس أن أول من عاداه وقاومه هم مواطنوه من منطقة عناثوت وقد هددوه إن لم يمتنع عن الاستمرار في عمله الاصلاحي ضدهم وقد ذاع عداؤه وانتشر حتى اصبح عداء عاماً مما ألجأه الى ان يصرخ طالباً من الرب أن ينزل قضاءه بالمقاومين . وقد قام واحد من أعدائه وهو الكاهن (فشحور) الناظر الأول للمعبد وضرب إرميا وجعله في المقطرة .

وعندما كانت القدس محاصرة تدارست سلطات اليهودية نبوءات إرميا الخاصة بتقدم الكلدانيين وسبي يهودا الذي يعقب ذلك

ونظروا في هذه النبوات من الناحية السياسية والناحية الحربية بدلاً من أن ينظروا فيها من الناحية الدينية وعلى الصعيد العقائدي وادعوا عليه أن نبواته ضد يهودا والقدس ثبطت همم المدافعين عن المدن ولما رفع الكلدانيون الحصار إلى حين وأوشك ارميا ان ينتهز هذه الفرصة للذهاب الى عناثوت لبعض شأنه اتهم بأنه فرّ ليذهب الى الكلدانيين وألقي في الجب وبعد أيام كثيرة أطلقه الملك صدقيا من حبسه وأخذه وسأله سراً عن كلمة الرب بشأنه فأخبره إرميا بأنه يدفع الى يد الكلدانيين وأمر صدقيا أن يضعوا إرميا في دار السجن وان يحسنوا معاملته ولكن الرؤساء أخذوه ورموه في الجب ليموت جوعاً . ثم اشفق عليه عبد حبشي فأخرجه من وحل السجن إلى ساحته ثم جاء الكلدانيون واحتلوا المدينة وظنوا أنه سُجِنَ بسبب تأييده لهم ولذلك أصدروا أمراً بمعاملته الجيدة . ثم أُطلق سراحه ومنحوه حق الاختيار في أن يذهب الى بابل أو يبقى في المدينة .

لقد كانت رسالته رسالة قضاة على اليهود ولذا فقد جلبت على رأسه مقت مواطنيه وعداءهم وقد افتروا عليه واضطهدوه ، وكثيراً ما قاسى عذاب السجن ، وكان قد شن حرباً على عقائد اليهود الوثنية ويقال إنه أجرى اصلاحات دينية كثيرة منها تذكير اليهود بأن المصائب التي حلت عليهم جاءت بسبب تعلقهم بديانات وثنية كثيرة .

ولم يرد في قاموس الكتاب المقدس كيف مات هذا النبي المصلح ولكن كثيراً من المصادر الدينية وغيرها تشير إلى أنه قُتل قتلاً من قبل اليهود لما كان عليه من نبذِهم ونقدهم بل والتهجم على عباداتهم الوثنية هجوماً لا هوادة فيه .

وقد جاءت مراثي إرميا شاهداً آخر على غضبه من اليهود وعقائدهم الوثنية وخروجهم على عبادة الرب . وقد جاء رثاؤه للقدس والقرى والمدن التي احتلها البابليون مليئاً بالسخط على اليهود . إن سبب المصائب التي حلت كلها بسبب انحراف اليهود ولجوئهم الى عبادة الأصنام ، وما لحقها من أخلاق سافلة كالزنى المنتشر والرشوة وغيرها من تلك الموبقات .

(١٤)
عقائد الوثنية اليهودية في سفر حزقيال

العقائد الوثنية اليهودية في سفر حزقيال :

لقد رأينا في صفحات سابقة كيف أن اليهود أخذوا عن ديانة البابليين كثيراً من عقائدهم لكن الوضوح المباشر في ذلك التأثر والأخذ يظهر في أسفار بعض التوراة التي جاءت شهادة صارخة من قبل أنبياء اليهود في النفي لاسيما سفر حزقيال وبعض الاسفار التالية لهذا السفر . فالمفردات الواردة وبعض الرموز الأخرى تدل دلالة قاطعة على الإستفادة الكبرى من مفردات ورموز العقائد البابلية .

ففي الإصحاح الأول يرى حزقيال رؤى الله كما تسميها التوراة . وفي هذه الرؤى يقول (ريح عاصفة ، سحابة عظيمة ونار ، وفي وسطها أربعة حيوانات أرجلها كقدم رجل (العجل) وأيدي إنسان تحت أجنحتها على جوانبها الأربعة . أما شبه وجوهها فوجه إنسان ووجه أسد ، ووجه ثور من الشمال ووجه نسر لأربعتها أما شبه الحيوانات فمنظرها كحجر نار متقدة)

فالريح العاصفة والسحابة العظيمة والنار مفردات جاءت بحرفيتها في اساطير الإله الكنعاني بعل ، لكن الخلفية التي افرزت مفردات كالثور والنسر والأسد فهي خلفية بابلية وتعتبر هذه المفردات انعكاسا لما رآه حزقيال أيام السبي البابلي ولما تأثر به كتبة التوراة . والواضح أن رؤى حزقيال وغيرها لم تكن صحيحة حسب ماجاء في هذا الكتاب إنما هي من صنع الأحبار والكهنة اليهود الذين دونوها في بابل . وتعتبر هذه الأسفار بما فيها من مفردات انعكاساً للميثولوجيا البابلية وثقافتها .

وقد تكلم الرب الى حزقيال في الإصحاح السادس فيقول : **(هأنذا جالب عليكم سيفاً وأبيد مرتفعاتكم فتخرب مذابحكم وتتكسر شمساتكم وأطرح قتلاكم قدام أصنام أصنامكم وأضع جثث بني اسرائيل قدام أصنامهم وأذري عظامهم قدام مذابحكم) إذا كسرت قلبهم الزاني الذي حاد عني وعيونهم الزانية وراء أصنامهم) .**

فرغم مجيء المصلحين والأنبياء إلا أن اليهود ظلوا على عقائدهم الوثنية ، ملتصقين بها خادمين لها . وفي كل مرة يهددهم الرب بالفناء والذل لأنهم مايزالون يتبعون الأصنام والمحرقات وما شابه ذلك من رموز الديانة الوثنية .

وفي زمن حزقيال ظل بعض اليهود في المقدس يعبدون الأصنام ويخلصون لها حتى ان التوراة تقول ان الرب أخذ هذا النبي وأراه الأصنام كيف تُعبد في القدس . **(فرفعتُ عيني نحو طريق الشمال واذا بي من شمالي باب المذبح تمثال الغيرة هذا في المدخل وقال لي يابن آدم**

هل رأيت ماهم فاعلون . الرجاسات العظيمة التي لبيت اسرائيل عاملها هنا لإبعادي عن مقدسي) (فدخلت ونظرت واذا كل شكل دبابات وحيوان نجسٍ وكل أصنام بيت اسرائيل مرسومة على الحائط على دائرة وواقف قدامها سبعون رجلاً من شيوخ بيت اسرائيل مرسومة على الحائط على دائرة . يقدمون البخور لأنهم يقولون الربّ لايرانا الرب قد ترك الأرض) (فجاء بي إلى مدخل باب بيت الرب الذي من جهة الشمال واذا هناك نسوة جالسات يبكين على تموز) ثم جاء بي الى دار بيت الرب الداخلية وإذا عند باب هيكل الرب بين الرواق والمذبح نحو خمسة وعشرين رجلاً ظهورهم نحو هيكل الرب ووجوههم نحو الشرق وهم ساجدون للشمس نحو الشرق) الإصحاح الثامن .

واضح من خلال هذه الفقرات أن اليهود على الرغم من تشتتهم ظلوا محافظين على تشتتهم العقائدي . ففي المقطع الأول نرى بعض الأصنام (كإله الغيرة) وفي المقطع الثاني رسوم منحوتة لبعض للدبابات (الحيوانات بشتى أشكالها) وهذه من العبادات القديمة التي نراها في رموز الديانة المصرية والديانة البابلية وغيرهما .

غير أن الشيء الجديد في هذه العقائد هو عبادة الإله البابلي (تموز) فالنساء اليهوديات ينحنَ عليه وهذا يعني أن اليهود تمثلوا أسطورته البابلية ذات الأصل السومري والقائلة بأنه يقضي نصف عام تحت الأرض في عالم الأموات ونصف عام فوقها حيث تم فضاء الآلهة بذلك ، (وتموز) هو شقيق (عشتار) وعشيقها حسب الاساطير البابلية ، والجديد أيضاً في عقائدهم عبادتهم للشمس . وهذا دليل

واضح على ترسيخ عبادة الشمس في عقائدهم منذ تأثرهم الاول بالمصريين وانتهاءً بتأثرهم بعبادة الشمس التي كانت سائدة لدى البابليين والفرس وغيرهم من شعوب مابين النهرين .

وتؤكد كلمات التوراة تصور محدودية الرب اليهودي حيث يقولون إن الرب لن يرانا فقد رحل عن الأرض ، وهذا ما يؤكد ضيق أفق الإيمان اليهودي ومحدوديته حتى ولو كان إيماناً بالإله الخاص بهم .

وفي الإصحاح العاشر يصف النبي حزقيال مجد الرب والمخلوقات التي يطلق عليها الكروبيم ويستدل من هذا الوصف التطابق الواضح بين وصف حزقيال لشكل الكروبيم وبين وصف العقائد الهندية الوثنية لبعض آلهتها . يقول في هذا الإصحاح : هذا هو الحيوان الذي رأيته تحت إله اسرائيل عند نهر الخابور وعلمت أنها الكروبيم لكل واحد أربعة أوجه ولكل واحد أربعة أجنحة وشبه أيدي إنسان تحت أجنحتها . الوجه الأول وجه كروب والوجه الثاني وجه إنسان والثالث وجه أسد والرابع وجه نمر)

وإذا كانت الكروبيم هي نفسها الملائكة فإن وصف حزقيال لها كما أوردته التوراة يعتبر وصفاً لبعض الآلهة الوثنية التي عرفناها عند الهنود ، وعرفناها فيما بعد لدى بعض المعتقدات المسيحية التي وضعت ملائكة الرب وجسمتها بعد أن تخيلت شكلها تخيلاً . وتعدد الوجوه لتلك المخلوقات أو لتلك الآلهة نراه في أكثر من ديانة وثنية . فالتمثال الموجود في معرض عام في الهند له ثلاثة وجوه في جسم واحد وفي الديانة البراهامية هناك الإله ذو الثلاث هيئات . وهو براهما . وفشنو وسيفا . ويجسدونه في تماثيل كثيرة في بلاد الهند وجنوب شرق آ سيا

حيث تنتشر الديانة البوذية ذات العقائد الوثنية والقائلة بالوجوه الثلاثة او الهيئات الثلاث للإله .

وحتى في الديانة البابلية يجعلون من الإله (مردوخ) ذا هيئات ثلاث او وجوه ثلاثة وقد رمزوا له بكثير من التجسيدات الحيوانية كجسم الثور المجنح والذي له اكثر من وجه .

وليس بعيداً أن يكون كتبة التوراة قد استقوا من التراث البابلي القائل بتعدد وجوه الإله هذه المعتقدات ونسبوها الى حزقيال ودانيال وإرمياء وغيرهم من الأنبياء . وتتشابه تعليمات حزقيال أو تعاليمه بشأن أخلاق اليهود مع تعاليم إرمياء وإشعياء خاصة التعاليم الموجهة لجنس النساء ويرى فيهن مثل مايرى غيره من أنهن صيادات للرجال زانيات يمتهن الاعمال المشينة وذلك إرضاءً لمعتقدات نجسة تعلمنها ورحن بدورهن ينشرن معتقداتها بين الناس .

تقول التوراة في سفر حزقيال الإصحاح 13 (ويل للواتي يُخطن **وسائد لكل أوصال الأيدي ويصنعن مخدات لرأس كل قامة لاصطياد النفوس)**

ولم تكن وثنية اليهود زمن حزقيال وثنية شكلية اقتصرت على العبادات والطقوس الشكلية إنما هي قد ترسخت في قلوبهم والتصقت بأرواحهم . يقول **(هؤلاء الرجال قد أصعدوا أصنامهم إلى قلوبهم ووضعوا معثرة إثمهم تلقاء أوجههم .)** ثم يقول : **(لكي آخذ بيت اسرائيل بقلوبهم لأنهم كلهم قد ارتدوا عني بأصنامهم)** وقد بين حزقيال أخلاق اليهود تماماً مثلما بينها الانبياء الآخرون وشدد على استخدام الزنى كوسيلة لكسب المال وكغاية من غايات بنات ونساء

اليهود . فهو يرى ان بنات اليهود سكبن زناهم على كل عابر ، وبنين مرتفعات وأماكن في الجبال لممارسة مهنة الزنى . ثم يقوم شعبهن - اليهود - بذبح الأولاد وتقديم الضحايا قرابين لآلهة وثنية كثيرة . ويذكر السفر ان اليهود خانوا إلههم خيانة عظيمة لارجعة بعدها . لقد نجسوا كل شبر من الارض التي سكنوا فيها وذلك بسبب صنعهم التماثيل والأصنام في كل المعابد وكل البلاد .

ونستطيع من خلال الإصحاح الثاني والعشرين ان نلخص كل ماكان عليه اليهود من عقائد واخلاقيات حيث يقول : (**مدن اليهود سافكة للدم ، صانعة للأصنام ، متنجسة بها نجسة الإسم كثيرة الشغب ضد الرب ، الرؤساء اليهود يتنافسون على فعل المنكرات كالقتل والزنى وصنع الأصنام وعبادتها ، الجميع أهانوا آباءهم وأمهاتهم ، عاملوا الغرباء بالظلم والاضطهاد ، ونكلوا باليتيم والأرملة ، اصبحت الوشاية اسلوبا متفشيا بينهم وذلك من أجل سفك الدماء دون رادع يردعهم . الإنسان كشف عورة أبيه . وأذلت المرأة الطامث ومارسوا معها الزنى. لم يحرموا عمل الفاحشة بالأخت والأم والعمة والخالة وحتى البنت والكنة .**)

وقد أوردنا سابقاً أن أرميا وأشعياء قد تحدثا عن أخلاق اليهود بنفس اللهجة ونفس الكلام الذي تحدث به حزقيال .

ويبدو أن هؤلاء الأنبياء عاشوا تقريباً فترة واحدة وهي فترة السبي البابلي وهذا ما يدل على أن ماقالوه هو واحد في شكله وفي مضمونه وان اختلف ترتيب المضامين او المواضيع من مكان الى مكان .

وصياغة هذه الاسفار جاءت صياغة من نمط واحد . يغلب عليها الاسلوب الشعري أو الأدبي وبشكل عام فإن مسحة الحزن تلفها جميعاً ، وهي بالمحصلة وصف لتهديد الرب وتخريبه لليهود وممتلكاتهم ، وفضح لأخلاقهم ومسلكياتهم الوثنية وعقائدهم التي تبيح الزنى والقتل وجميع أنواع الشرور الدنيوية والبشرية .

(١٥)
عقائد الوثنية اليهودية في سفر هوشع . عاموس . ميخا . ناحوم . وصفنيا . زكريا . وملاخي

★ عقائد اليهود في سفر هوشع وعاموس ـ ميخا وناحوم وصفنيا وزكريا وملاخي :

تعتبر هذه الأسفار في مضمونها مكملة لما جاء في الأسفار السابقة عليها مباشرة مثل سفر حزقيال ودانيال وغيرهما .

فهي عبارة عن فضائح لعقائد اليهود التي استمرت متفشية في نفوسهم ومسلكياتهم وعقولهم وهي أيضاً أسفار تحوي كثيراً من تجسيد الإله والحاق صفات تجسيمية به . وبنفس الأسلوب التأنيبي والتقريعي الذي اتبعه دانيال وحزقيال جاء هوشع وبقية المصلحين اليهود ليؤكدوا ان طبيعة تلك العقائد اليهودية هي مخالفة تماماً للرب إلههم وتعاليمه ، وهي ناشرة كل اخلاقيات الشر والسوء لاتنحاز عنه بل ترفض كل من يأتي لإصلاحهم ولايتورعون في قتله او نفيه واضطهاده . ويرى القارىء لهذه الأسفار تكرار ماكان عليه اليهود في جميع تعاليمهم

ومعتقداتهم فمن اسلوب التقريع القاسي جاء في الاصحاح الثالث :

(وقال الرب لي اذهب أيضاً احبب امرأة حبيبة صاحب وزانية كمحبة الرب لبني اسرائيل وهم ملتفتون إلى آلهة أخرى . وقلت لها تقعدين أياماً كثيرة لاتزني ولاتكوني لرجل وأنا كذلك لك)

فترى اسلوب هوشع يعتمد كلياً على التقريع والتنديد ، لاسيما أنه يشبه محبة الرجل لزوجته الزانية كمحبة اليهود لربهم فهي محبة علاقةٍ مشبوهة منبوذة ومرفوضة ، ونرى أن هذا المضمون يركز جداً على مفهوم علاقة الزانية وعدم ارتباطها الشريف ، وبمعنى آخر فإن الزانية التي لاعهد لها لأنها تعاشر رجالاً كثيرين تشبه تماماً اليهود الذين لاعهد لهم بإله واحد فهم يتنقلون من عقيدة لأخرى كما تتنقل الزانية من رجل الى رجل .

وفي الاصحاح الرابع يؤكد هوشع مرة أخرى أن اليهود لن ينحازوا عن طريق الشر والسلوك اللاأخلاقي يقول : (اسمعوا قول الرب يابني اسرائيل إن للرب محاكمة مع سكان الأرض لأنه لا أمانة ولا إحسان ولا معرفة لله في الأرض ، لعن وكذب وقتل وسرقة وفسق ، دماء تلحق دماء)

وفي هذا النص توضيح لنقائض الوصايا العشر التي أوصاها موسى لبني اسرائيل .

وقد اصبحت قتلاً بدَلَ لاتقتل . وسرقة بدَلَ لاتسرق وهكذا ، وهذا يعني ان العقائد التي ترسخت في نفوس اليهود هي عقائد رافضة لكل المعتقدات السليمة ولكل السلوكيات الانسانية المتعارف عليها .

وفي نفس الاصحاح فإن الرب الذي يخاطب هوشع يوضح ماذا عبد بنو اسرائيل وكم هي سخافاتهم الوثنية وكم سقطوا الى الحضيض في معتقداتهم لكن التوراة التي تورد ذلك تظل على تعصبها ورؤيتها للإله الخاص . فالرب الذي يتحدث عنهم يتحدث عن شعبه الخاص به وليس عن كل الشعوب بمعنى أنهم ظلوا يتصورون الإله ربا قومياً اقليمياً خاصاً بهم (شعبي يسأل خشبه وعصاه تُخبره لأن روح الزنى قد اضلهم فزنوا من تحت الههم يذبحون على رؤوس الجبال ويبخرون على التلال تحت البلوط، لذلك تزني بناتكم وتفسق كناتكم ، لا أعاقب بناتكم لأنهن يزنين ولاكناتكم لأنهن يفسقن) .

ويركز هذا السفر على فاحشة الزنى كرمز للخيانة اليهودية ورمز لرفضهم ربهم واتباعهم العقائد والمعتقدات المتنوعة والكثيرة والتي جميعها تخرج عن تعاليم الرب الههم .

(افرايم موثق بالأصنام اتركوه ، متى انتهت منادمتهم زنوا زنى) وفي الاصحاح الخامس (إنك الآن زنيت ياإفرايم قد تنجّس اسرائيل افعالهم لاتدعهم يرجعون الى الههم لأن روح الزنى في باطنهم وهم لايعرفون الرب يذهبون بغنمهم وبقرهم ليطلبوا الرب ولايجدونه ، قد تنحى عنهم قد غدروا بالرب لأنهم ولدوا أولاداً أجنبيين)

فحتى في هذا السياق فإن الرب يرفض بني اسرائيل لانهم حسب رأي التوراة زنوا فجاءهم أبناء لاينتسبون الى اليهودية بل هم خليط عرقي من عدة شعوب وربهم الخاص بهم يستغني عنهم طالما لم يحافظوا على عرقيتهم وخصوصيتهم حسبما يزعمون . ويعود هذا السفر ليؤكد دوما اتباع اليهود لعبادة الاوثان كما اكدت عليه الاسفار

السابقة في التوراة فيأتي في الاصحاح الثامن : (صنعوا لانفهسم من فضتهم وذهبهم اصناماً لكي ينقرضوا ، قد ترنح عجلك ياسامرة مي غضب الرب عليهم الى متى يستطيعون النقاوة انه هو ايضا من اسرائيل صنعه الصانع وليس هو الهاً)

ويقول في الاصحاح 9 (لاتفرح يااسرائيل طربا كالشعوب لأنك قد زنيت عن الهك)وفي الاصحاح 11 : (كل مادعوهم ذهبوا من امامهم يذبحون للبعليم ويبخورن للتماثيل المنحوتة) فلاحظ في هذين النصين تهديد الرب لهم بالانقراض بسبب خروجهم على ديانة ربهم واتباع انواع الإله الوثني (بعل) ولعل الزنى هنا يأخذ معنى الخروج عن ديانة الرب ويقترن الخروج عن هذه التعاليم بالذبح للأصنام والاوثان وحرق البخور للتماثيل المنحوتة والتي ترمز للآلهة المتعددة .

أما في سفر عاموس فتعود التوراة لنغمة مصطلح رب الجنود وتتكرر هذه العبارة مرات عدة لتؤكد تصور اليهود عن ذلك الرب المحارب المختص بالقتال بقيادة الجنود في حروبهم ضد الامم والشعوب .

يقول : (فعلى هذا يكون الرب إله الجنود معكم كما قلتم)

ويقول : (لعل الرب اله الجنود يتراءف على بقية يوسف)

وفي نفس السفر يؤكد الحديث على عبادة اليهود الوثنية ولكن هذه المرة يتحدث عن الإله ملكوم وهو اله بني عمون الذي عبده اليهود تقول التوراة : (حملتم صيحة ملكومكم وتمثال اصنامكم الهكم الذي صنعتم لأنفسكم) وتتكرر في هذا السفر ايضا مقولة ان الرب ندم على فعل الشر بيهود وبالطبع قلنا سابقا ان هذه الصفات هي من صنع خيال اليهود الذي يجسم الرب ويضع له صفات بشرية لا إليهة .

أما في سفر ميخا فإن التوراة تورد العبارات التي تجسد الاله كما فعلت الاسفار الأولى فيرد: **(فإنه هو ذا الرب يخرج من مكانه وينزل ويمشي على شوامخ الارض فتذوب الجبال تحته وتنشق الوديان كالشمع قدام النار كالماء المنصب في منحدر)** .

وهذا يذكرنا بما ورد في الاسطورة الكنعانية حيث يسكن الرب في جبل صفون ويخرج من مكانه ويتجول ويفرح ويبكي ويغضب . ونرى ايضاً ان الرموز في هذه التعابير توحي بان الرب بقوته كالنار التي تذيب الشمع وهذا التشبيه لا يتجاوز كونه تشبيهاً لإله مادي مجسد يغضب دوماً .

وفي نفس السفر يرد التهديد الذي اعتادت عليه عبارات كافة المصلحين والأنبياء الذين ورد ذكرهم في التوراة فيقول : **(وجميع تماثيلها تحطم وكل أعقارها تحرق بالنار وجميع أصنامها أجعلها خراباً لأنها من عقر زانية جمعتها وإلى عقر الزانية تعود)**.

أما في سفر ناحوم فنجد عرضاً لصفات الاله التي رأيناها سابقاً وهي في مجملها صفات لإله وثني قومي خاص يتخيله أتباعه كما يتخيلون صفاته يقول : **(الرب إله غيور ومنتقم وذو سخط ، الرب منتقم من مبغضيه وحافظ غضبه على أعدائه . الرب بطيء الغضب ، وعظيم القدرة ولكنه بريء ، الرب في الزوبعة وفي العاصف طريقه ، والسحاب غبار رجليه ينتهر البحر فينشفه ويجفف جميع الأنهار غيظه ينسكب كالنار والصخور تنهدم منه)**.

وهذه جميعها وردت كما أسلفنا في صفات الإله الكنعاني الوثني بعل فهو إله العواصف تارة ومنشيء الزوابع ويصارع مبغضيه . وهو

يمتطي السحاب ويتصارع مع الاله يم نهار أي إله البحار والانهار فيُخضِعُهُ لإرادته أو يكاد يقضي عليه . وواضح من النص كم استفاد كتبة التوراة من ذاكرتهم التراثية التي تعلموها من الكنعانيين أيام الاحتلال الأول لأرض فلسطين .

وفي سفر حبقوق : يرد حتى متى يا رب ادعو وأنت لا تسمع أصرخ إليك من الظلم وأنت لا تخلص لم تريني إثماً وتبصر جوراً .

وهذا التجديف يشابه ما ورد في سفر أيوب ، لاسيما أن المتحدث التوراتي يتجرأ على الرب ويتهمه بعدم السمع وعدم رفع الظلم وعدم الاستجابة للذين يدعونه . وفي سفر صفنيا : لا نجد إلا تهديدَ رب الجنود للأمم والشعوب التي سكنت فلسطين والاردن ومصر وكان هذا التهديد إفصاحاً عن اللا شعور اليهودي المعادي لتلك الشعوب . وفي سفر زكريا يرد : (**فأجاب ملاك الرب وقال : يا رب الجنود إلى متى أنت لا ترحم أورشليم ومدن يهودا التي غضبت عليها . ويرد أيضاً : اسكتوا يا كل البشر قدام الرب لأنه قد استيقظ من مسكن قدسه**) .

فمضمون هذا السفر لا يخرج أيضاً عن مضامين الاسفار السابقة فهو تهديد ووعيد ومن ثم تجسيم للإله الذي ينام ويستيقظ كي يشن حربه وغضبه على رافضي تعاليمه والخارجين عن طريقه .

(16)
ماذا يقول الباحثون في ديانة اليهود ؟

● ماذا يقول الباحثون في ديانة اليهود ؟

لاشك أن كثيراً من المؤرخين والباحثين تناولوا عقائد اليهود بالدراسة والتحليل وقد خرجوا بمجملهم بنتائج تدين هذه العقيدة لما فيها من معتقدات وثنية ولما فيها من خروج على كل أشكال الدين التوحيدي .

يقول فولتير : (كيف السبيل إلى الاعتقاد بأن كل ما يقصه التوراة هو من وحي إلهي فإذا كان الله هو الذي أملى التوراة حق لنا أن نعجب إذ أن الله ذو أفكار خاطئة جداً في علم الفلك كما أنه يجهل علم تاريخ الحوادث ويجهل الجغرافيا جهلاً تاماً ويعتقد أن الأرانب تجتر ويناقض نفسه بنفسه فيما يخص الاخلاق وكيف السبيل الى الايمان بالخرافات التي توجد في التوراة اليهودية وبالمعجزات التي يقال إنها حدثت دون انقطاع خلال التاريخ اليهودي فأتاحت لليهود أن يعبروا البحر الأحمر والاردن دون أن تبتل أقدامهم وليوشع أن يوقف الشمس وكيف السبيل إلى الايمان بالمعجزات التي اسقطت اسوار أريحا عند نفخ

الصور وجعلت شمشون يكسر جيشاً كاملاً بفك حمار ، وأضف إلى هذا كله كل الفظائع التي تسردها التوراة وكل القصص القذرة والبعيدة عن التصديق التي نقرأها عن الانبياء الذين حكم على أحدهم بأكل القاذورات وعلى الآخر بالتهتك المقزز للنفس وغير ذلك من ضروب الأذى والاذلال يوقعها الرب بهم دون سبب معروف)[1].

ويقول المؤرخ أرنولد توينبي : ليس من المستغرب تطور فكرة الإله على مدار فترة زمنية طويلة عاشها اليهود ـ 1400 عام . واجهوا خلالها أحداثاً ضخمة وكابدوا تغييرات بعيدة المدى سياسية واجتماعية وثقافية ومروا بتجارب خطيرة أثرت في تكوينهم العقلي أيما تأثير بيد أنه مهما يكن من أمر جسامة تلك التغييرات سيطرت على العقلية اليهودية منذ انبعاثها فكرة عن طبيعة إلههم لم تتبدل حتى الآن ولهذه الفكرة بعدان أساسيان :

البعد الأول : يصور إلههم في صورة إنسان ويتطلب هذا الكائن الانساني الالهي من أتباعه طاعة عمياء وولاء صادقاً كاملاً ولا تختلف وجهة النظر بشأن طبيعة إله اليهود ذات المنحى الانساني بين مثقف وجاهل قديماً وحديثاً ويعثر عليها الباحث بين القبائل الاسرائيلية البربرية في سالف الأيام ولا يسلم من الايمان بها فلاسفة اليهود المحدثين ولم يحدث قط أن تصور اليهود ربهم في صورة تتنزه عن التجسيد الانساني حتى وقتما قرنوه بالحقيقة الروحية مرغماً عن تطور فكرة الاله لديهم من رب حرب للقبيلة الاسرائيلية إلى الإله الواحد

---

(1) اندريه كريون ، فولتير حياته ص 50 منشورات عويدات بيروت ـ باريس طبعة 2 سنة 1984 .

ظلت فكرة اليهودية القديمة عن الشخص الالهي المتغطرس الحقود قائمة في اذهان اليهود وعقلهم الباطني .

البعد الثاني : هناك عنصر هام من الدوام يعثر عليه الباحث في تطور إله اليهود (يهوه) ولا يبرح هذا المعنى قائماً بين تضاعيف التغييرات الرئيسية التي طرأت على طبيعة (يهوه) لكن يختلف التغيّر اختلافاً بيّناً باختلاف العصور .

فأولاً : اتخذت التغييرات الحاسمة سبيلها في غضون فترة لا تجاوز القرنين تمتد من جيل النبي عاموس في القرن الثامن ق . م حتى جيل أشعيا الثاني في مطلع غزو قورش للبابليين . ويعتبر هذا العصر قطب رحى التاريخ الذي تبلور فيه معنى (يهوه) ويصدق على هذا العصر المعنى القائل بأن المعرفة حصيلة المكابدة .

وطبيعي أن لا ينتمي رب اليهود بأصله للخصب والنماء إذ انحدر اليهود من الصحراء العربية ولعله كان في الأصل رب إحدى قبائل كنعان أو مدين ومهما يكن من أمر موطنه الأصلي يبدأ سجله التاريخي منذ أن اتخذته اسرائيل إلهاً سياسياً لها .

إن أسفار التوراة تصوره رباً ذا طبيعة همجية إذ يعد اليهود مقابل ولائهم له أن يملكهم أراضي لا يملكها هو ولا حقٌّ لاسرائيل في الاستحواذ عليها وكان على الغزاة البدائيين أن يمتشقوا السلاح معتمدين على أن ربهم رجل حرب ذو قوة وأيد يعاضد شعبه المختار على الفتك ببقية الشعوب .

بيد أن صولة (يهوه) ذات حدين فإنه يثيب صحابته على طاعتهم لأوامره ونواهيه بالفتك بأعدائهم لكنه لا يقل تشبثاً بعقاب أصحابه

على تمردهم وعصيانهم .

ولا يقتصر وصف التوراة لهذا الرب البدائي بالتعنت مع شعبه إذ تظهره أنه نكِد متقلب مندفع أخو نزوة وتعدد التوراة أحكامه الجائرة التي لا تعد ولا تحصى كما تبدي التوراة شدة بطشه بالناس كقوة عمياء لا تبقي ولا تذر .

ويقول المؤرخ المعاصر ادوارد ماثير : عند مكان يدعى مريبات قادش جنوبي فلسطين بدأ اليهود يعبدون الاله يهوه ومن المحتمل ان يكون هذا التأثير جاءهم من قبيلة مدين العربية التي تقيم بالقرب من هذا المكان والمعتقد أن قبائل مجاورة اخرى كانت من أتباع هذا الاله .

لقد كان الاله (يهوه) بالتأكيد إله البراكين ونحن نعرف أن مصر ليست بها براكين وكذلك جبال سيناء لم تكن مطلقاً جبالاً بركانية ولكن البراكين التي ربما ظلت نشطة إلى فترة متأخرة توجد على طول الحد الغربي لشبه الجزيرة العربية ولابد أن أحد هذه الجبال البركانية هو جبل حوريب الذي كان من المعتقد أنه مقر الإله (يهوه) لقد كان يهوه شيطاناً مهلكاً محباً للدماء يجوب الليل ويتجنب ضوء النهار .

ويقول فرويد اليهودي : ومما يثير الدهشة على نحو أشد فكرة أن هذا الاله قد اختار فجأة شعباً ما وجعله شعبه الخاص ونصب نفسه إلهاً له وأعتقد أن هذه هي الحالة الوحيدة من نوعها في تاريخ الاديان البشرية . ففي الحالات الاخرى نجد أن الشعب والإله لا يمكن الفصل بينهما فهما واحد منذ البداية . حقاً إننا قد نسمع في بعض الأحيان عن شعب يتخذ إلهاً جديداً ولكننا لم نسمع مطلقاً عن إله يختار شعباً جديداً .

ويقول معلقاً على ما اعتبره اليهود ن أن ابراهيم وأبناءه ينتسبوه لليهودية : (وهناك غرض آخر يخدمه ادخال‌الآباء الاولين في ديانة يهوه الجديدة فهم قد عاشوا في كنعان وربما كانوا هم أنفسهم أبطالاً كنعانيين أو أنبياء محليين اغتصبهم اليهود لأنفسهم عندما غزوا أرض كنعان في أوائل تاريخهم أي قبل ظهور يهوه بأمد بعيد ولذلك فإن ادخالهم الآن في ديانة يهوه يهدف إلى إعطاء دليل على أن اليهود ليسوا غرباء على أرض كنعان التي يستعدون لدخولها وأنهم لا يدخلونها كفاتحين غرباء فلجأوا إلى هذه الحيلة الماهرة وهي أن الاله يهوه قد وعدهم بالارض التي كان يحتلها أسلافهم أولئك الاسلاف الذين كانوا يعبدون يهوه أيضاً ولكن تحت اسم آخر)[1].

ويقول سيد قطب : لقد حفلت ديانة بني اسرائيل ـ اليهودية ـ بالتصورات الوثنية وباللوثة القومية على السواء . فبنو اسرائيل جاءتهم رسلهم وفي أولهم يعقوب بالتوحيد الخالص الذي علمه إياه جده ابراهيم .

ثم جاءهم نبيهم الاكبر (موسى) عليه السلام بدعوة التوحيد أيضاً مع الشريعة الموسوية المبنية على أساسه ، ولكنهم انحرفوا على مدى الزمن وهبطوا في تصوراتهم إلى مستوى الوثنيات وأثبتوا في كتبهم وفي صلب العهد القديم أساطير وتصورات عن الله سبحانه لا ترتفع عن أحط التصورات الوثنية للاغريق وغيرهم من الوثنيين الذين لم يتلقوا رسالة سماوية ولا كان لهم من عند الله كتاب .

---

(1) موسى مصرياً . نظرية فرويد في التاريخ اليهودي ص 72 . سلسلة المكتبة الثقافية 1969 .

(17)
ماذا يقول القرآن الكريم في عقائد الوثنية اليهودية

● ماذا يقول الله سبحانه في القرآن الكريم عن عقائد اليهود ؟

● يحفل القرآن الكريم بتصور شامل عن اليهود وعقائدهم الوثنية وسلوكياتهم اللا إنسانية .

ففي سورة البقرة الآية 92 ـ 93 : [ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون . وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا قلوبهم العجل بكفرهم قل : بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين] .

وقد بدأ انحرافهم وموسى عليه السلام بينهم ، من ذلك عبادتهم للعجل الذي صنعه لهم السامري من الذهب الذي سرقوه من نساء المصريين . وقبل ذلك كانوا قد مروا عقب خروجهم من مصر على قوم يعبدون الاصنام فطلبوا إلى موسى عليه السلام أن يقيم لهم صنماً يعبدونه : قال تعالى في سورة الأعراف 138 ـ 139

[وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متّبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون] .

وحكى القرآن عن اشراكهم بالله عندما قالوا إن عزير ابن الله : يقول تعالى في سورة التوبة الآية 30 [وقالت اليهود عزير ابن الله] .

وقال تعالى في سورة البقرة الآية 54 : [وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم] .

ويتحدث القرآن عن أحبار اليهود الذين يخدعون الناس ويطلبون منهم تقديم الضحايا والقرابين والاموال ليأخذوها لجيوبهم : يقول تعالى في سورية التوبة 34 [يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم] .

● يتحدث القرآن الكريم عن تحريف اليهود للتوراة :

يقول تعالى في البقرة الآية 69 : [فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله] .

ويقول في سورة البقرة آية 146 : [الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون] .

ويقول تعالى في سورة آل عمران الآية 78 : [وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون] .

ويقول تعالى في سورة النساء الآية 45 : [من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه] . وفي سورة الانعام 92 : [وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً] .

ولو تتبعنا آيات القرآن الكريم لوجدنا أن اليهود كما أسلفنا لم يتركوا باباً لتحريف الدين إلا دخلوه ولم يتركوا ديانة إلا وجربوها وكانوا بحق مثالاً على مدى التاريخ للانحراف والإفساد في كافة المناطق التي عاشوا فيها أو احتلوها أو أُذلوا لحاكميها .

ولم يأت تركيز القرآن الكريم على بني اسرائيل عبثاً فهم على خلاف الشعوب جميعها وعلى خلاف أصحاب الديانات في العالم لم يثبتوا على ديانة من جهة ، ولم يكن إلههم أو دينهم عالمياً حتى يدخل فيه الناس كما دخلوا الديانات الاخرى .

لقد زوروا الدين وحاولوا تزوير التاريخ وحاولوا سرقة تراث الشعوب لكن البحوث والدارسين حققوا فيما لهم وفيما ليس لهم فوجدوهم يقفون مكشوفين عراة أمام الشمس ، لا دين لهم سوى ديانة الوثنية ، ولا تاريخ لهم سوى تاريخ القتل والزنى والاغتصاب ، ولا تراث لهم سوى التلفيق على الانبياء وعلى الشعوب والأمم . إن التوراة التي تحوي خليطاً عجيباً من المعلومات ليس سوى يوميات

يكتبها كهنة اليهود فمنها ما جاء صدى لأساطير الشعوب ومنها ما جاء تلبية لغايات دنيئة وضيعة فكر بها الاحبار وصنعوها لتلبي تطلعات النفسية اليهودية المادية والاستغلالية .

وعندما يركز القرآن عليهم فإنه بذلك يضع الاسس الصحيحة لكافة الباحثين الذين حاولوا ويحاولون دراسة النفسية اليهودية ، لقد سبق القرآن الكريم كل الدارسين والتاريخيين والأثاريين في الكشف عن حقيقة اليهود ومعتقداتهم ، وهذا التركيز هو تنبيه للمسلمين خاصة وللعالم عامة بأن يحذروا اليهود وألاعيبهم ، ودسائسهم لأنهم أساساً ينطلقون من عقائد لا إنسانية تقوم على المال والمادة والمصالح الأنانية الذاتية .

خاتمة

إذا زعهم اليهود أنهم أصحاب أول عقيدة توحيدية فإن هذا الكتاب ومن خلال الاستناد والتحليل الواقعي يُظهر أن اليهود أكثر المخلوقات انحيازاً عن عبادة الله الواحد ، بل إنهم لم يدركوا يوماً أن الله واحد ولم يرضوا أن يكون هناك إله واحد .

وطبيعة مسيرتهم منذ الخروج زمن النبي موسى عليه السلام وحتى الآن تدل بلا أدنى شك أنهم وثنيون بألف شكل وشكل ، وثنيون في عقائدهم الدينية ، وثنيون في سلوكياتهم الدموية العنصرية ، وثنيون في أخلاقهم وسلوكياتهم الرديئة الفاسدة .

وإذا كانت كل النظريات الاجتماعية (والانتروبولوجية) تنكر بل وترفض رفضاً قاطعاً كون اليهود من عرق واحد فإن ما قدمناه يؤكد أيضاً أنهم أصحاب ديانات ومعتقدات مختلفة ومتنوعة .

فإذا كانوا يزعمون أن الدين هو القومية بالنسبة لمن يُسَمَّوْنه اليهود فإن الواقع العلمي يقول لا دين لهؤلاء بل مجموعة أديان ، ولا قومية لهؤلاء بل مجموعة قوميات تزيد على السبع عشرة قومية

منتشرة حسب انتشار الامم والقوميات في العالم . فجميع من ينتسبون الى العقائد الوثنية اليهودية ينتسبون الى بلاد وقوميات متنوعة ومنتشرة في كثير من بقاع الكرة الارضية .

واذا كان منهم الحبشي ، والبولوني ، والروسي ، واليمني والانجليزي والفرنسي والهولندي وغيرهم وإذا كان منهم الاشقر ذو العينين الزرقاوين ، أو الاسمر الزيتوني النحيف ، أو الاصفر أو ما شابه ذلك فإن منهم أيضاً العدد المماثل من العقائد والديانات التي ينتسبون لها وينتمون اليها .

ورغم كل هذه الحيثيات الواقعية المنطقية العلمية فإن الكثيرين يتساءلون إذاً ما الذي يجمعهم في دولة أو كيان ؟ ولماذا هم أقوياء يهددون العرب والمسلمين بل والعالم ؟ ولماذا هذا العجز في دحرهم والقضاء على إفسادهم وإخراجهم كلياً من أرض الاسلام فلسطين والمسجد الأقصى ؟ لماذا يحدث ذلك ودين الاسلام هو واحد أينما يذهب المرء ؟ لماذا يحدث ذلك والعرب والمسلمون يمتلكون مقدرات مادية وروحية تفوق ما لدى الكون كله ؟

نظرة متفحصة للواقع الاسلامي تثير فينا كثيراً من الاسف والألم والتمزق . إن كلًّا منا يرى هذا التشرذم المذهبي والقومي والإقليمي ، وإن كلًّا منا يرى أن المسلمين قد فرّطوا كثيراً في شؤون عقيدتهم وأدخلوا فيها حسب هواهم كثيراً العادات والتقاليد التي هي أقرب إلى العقائد الوثنية منها إلى صفاء عقيدة التوحيد . وانقسموا شيعاً تتطاحن على ملاذ الدنيا واستطاعت الدعاوى الاستعمارية والتخطيط اليهودي أن تمزقا الامة الاسلامية إلى كيانات اقليمية ضعيفة ،

وانتشرت في المجتمعات الاسلامية حثالات وقشور الحضارة الاوروبية الساعية دوماً إلى تخريب المسلم من داخله .

إذا فإن السبب الأول الذي مكن الدعوة الاستعمارية اليهودية من النجاح هو نحن المسلمون بسبب ابتعادنا عن عقيدتنا ولاسيما الجهاد والوعي والاخلاق المسلكية الراقية .

وإذا ما نظرنا إلى الاسباب الاخرى وهي مهمة أيضاً رغم أنها أقل خطراً من السبب الاول لوجدنا أن العالم الصليبي المتمثل بالالحادية الشيوعية وبالعبثية الامريكية والاوروبية قد وضع همه الاول والاخير محاربة الاسلام كعقيدة بكل ما يملك من قوة مادية ومالية وغيرها .

فهذا العالم الصليبي الاستعماري يلتقي كلياً بفكره وتوجهه الاستعماري على التوجه الفكري اليهودي . بل إن اليهود راحوا يسيطرون بكل قواهم المالية والاعلامية والعسكرية على ذلك العالم الذي فقد من زمن بعيد أبسط سمات الانسانية والروحية وأبسط قواعد الاخلاق والمسلكية .

وإلى جانب السبب الأول والسبب الآخر ترى اليهود والغرب الصليبي يتحالفان وبقوة لينشروا الافكار الهدامة التي يتبناها كثيرون من ضعاف النفوس في المجتمعات الاسلامية ، فالاعلام الاقوى في أيديهم وأساليب الخداع في أيديهم وهم بالتالي مستعدون لدفع أموال الارض في سبيل إبقاء الامة الاسلامية ضعيفة ممزقة ممبتعدة عن روح الجهاد والابداع العلمي والمواجهة الفكرية الموضوعية مع الذات ومع الآخرين .

إن اليهود ليسوا أذكياء أكثر من البشر وليسوا أغنى مالاً من العرب والمسلمين وما على الأمة العربية والاسلامية إلا العودة إلى روح القرآن الكريم وسنة محمد ﷺ ليجدوا أنفسهم في مواجهة اليهود والغرب الصليبي بقوة واقتدار وانتصار .

وديننا دين التوحيد والعزة ودين القوة والعدل والرحمة . ديننا دين الجهاد وليس دين التواكل والذل . وما علينا الا العودة إلى قرآننا ونبذ خلافاتنا المذهبية والاقليمية والرجوع إلى روح القرآن والاسلام .

[إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم]

فلننصر دين الله حتى ينصرنا الله والله قوي عزيز .

والحمد لله رب العالمين



فهرس

المصادر والمراجع

1 ـ القرآن الكريم .
2 ـ الكتاب المقدس ، العهد القديم + العهد الجديد .
3 ـ أحمد سوسة العرب واليهود في التاريخ العربي للطباعة والنشر طبعة 2 ـ 1972 .
4 ـ اندريه كريسون : فولتير حياته ، عويدات بيروت طبعة 2 ـ 1984 .
5 ـ ديل ميدكو . نصوص من الكنعانية ترجمة مفيد عرنوق مجلة فكر بيروت ط 1 1980 .
6 ـ حسن الباش . الميثولوجيا الكنعانية والاغتصاب التوراتي . دار الجليل دمشق 1986 طبعة (1) .
7 ـ صموئيل نوح كرايمر . أساطير العالم القديم . الهيئة المصرية للكتاب 1924 ترجمة أحمد يوسف .
8 ـ صموئيل هنري هوك . منعطف المخيلة البشرية . ترجمة صبحي حديدي . دار الحوار اللاذقية ط 1 1983 .



9 ـ قاموس الكتاب المقدس . دار الكتاب المقدس . دمشق . بيروت . 1984 .
10 ـ قصة الديانات ـ سليمان مظهر . الوطن العربي للكتاب القاهرة بيروت ط 1 . 1984 .
11 ـ فؤاد شبل . مشكلة اليهودية العالمية . دراسة لأراء توينبي . سلسلة المكتبة الثقافية 1970 ـ عدد 241 .
12 ـ نظرية فرويد في التاريخ اليهودي . موسى مصريا . سلسلة المكتبة الثقافية 1969 .